

برنامج التاريخ العربي الإسلامي

حملة تيمورلنك على بلاد الشام 803هـ/1401م

The Campaign of Timurlane Against Bilad Al-Sham (803A.H/1401A.C

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

العربي الإسلامي

إعداد

الآء جاد الله نبهان شاهين القاضي

إشراف

د. عامر بركات

2016



برنامج التاريخ العربي الإسلامي

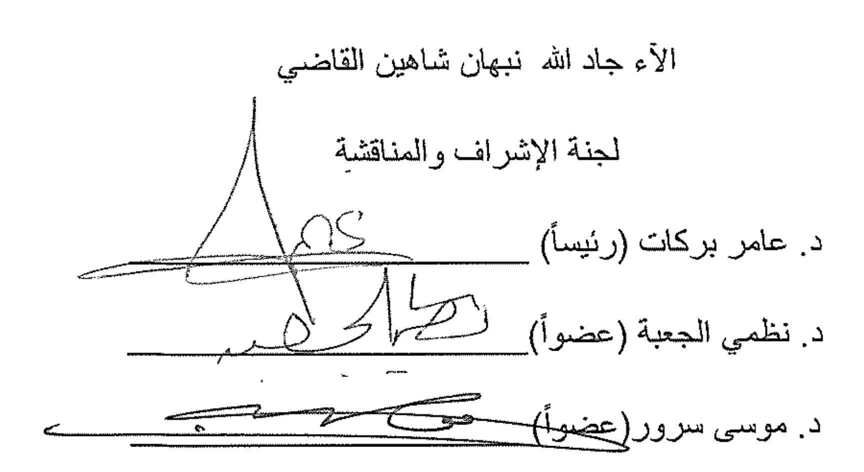
حملة تيمورلنك على بلاد الشام 803هـ/ 1401م

The Campaign of Timurlane Against Bilad Al-Sham(803A.H /1401A.C)

إعداد

الآء جاد الله نبهان شاهين القاضي

لجنة الإشراف والمناقشة



د. عامر بركات (رئيساً) ________

د. نظمي الجعبة (عضواً) ________

د. موسى سرور(عضواً) ________

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي

2016

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

أهدي عملي المتواضع هذا إلى من أحملُ اسمه بكل فخر وإلى من شجعني على التعلم أبي الغالي.

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز الحب وبلسم الشفاء أمي الحنونة.

إلى من بات لي سندا وأرادني في أعلى القمم فبث في نفسي أعلى الهمم زوجي العزيز كريم القاضي.

إلى أشقائي وشقيقاتي الذين نشأت بينهم.

وإلى صديقتي الغالية طيبة القلب نبيهة راسم .

إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة إلى عطر حياتي : آدم ومحمد وتقى اللذين كانوا نورا لسراجي عند البحث والكتابة.

إلى جميع الأطفال المرضى على الأسرة البيضاء شفاهم الله وعفاهم.

وإلى الأطفال العرب والمسلمين الذين يئنون جوعا ووجعا والذين تكالبت عليهم الأمم.

وإلى أسرى فلسطين الذين يحلمون بالحرية، وإلى شهداء فلسطين وشهداء الأمة أجمعين .

إلى كل هؤلاء أهدي جهدي المتواضع.

والحمد الله حق حمده

شكر وتقدير:

إلـهي لا يطيب الليل إلابشكرك ولايطيب النـهار إلا بطاعتك ولا تطيب الدقائق إلا بذكرك.

إن حق الشكر يبدأ وينتهي عند الله العظيم المولى الذي وفقني لـهذا العمل.

ومن ثم أمد شكري إلى مشرفي د.عامر بركات لما كان له من دور إرشادي مميز وللسادة أعضاء لجنة المناقشة: الدكتور موسى سرور والدكتور نظمي الجعبة جزاهم الله خيرا.

كما وأشكر عمادة كلية الآداب والقائمين على كل من المكتبات الآتية مكتبة مسجد جمال عبد الناصر ومكتبة بلدية البيرة العامة ومكتبة جامعة بيرزيت

ومكتبة بلدية رام الله العامة بسبب تعاونهم وتقديمهم الكثير من الخدمات في الحصول على المصادر الرئيسية.

فهرس المحتويات:

العنوان الصفحة

إهداء...هـ

شكر وتقدير..ج

قائمة المختصرات..ح

ملخص باللغة العربية.......................................ط

ملخص باللغة الإنجليزية...................................ك

مقدمة..1

الفصل الأول: المغول.......................................8

تقديم: 9

أولا: القبائل المغولية 10

ثانيا: المغول والأتراك......................................14

ثالثا: النظم المغولية..18

رابعا: جنكيزخان:..26

خامسا: استقرار المغول في بلاد الشام زمن الدولة اللملوكية الثانية...........30

خاتمة :..35

الفصل الثاني: تيمورلنك والدولة المملوكية الثانية..............................36

تقديم:...37

أولا: تيمورلنك...38

ثانيا: موقف السلطان برقوق وإبنه فرج وحاشيتهم من حملة تيمورلنك على بلاد الشام..47

خاتمة:..61

الفصل الثالث: حملة تيمورلنك على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق:...............62

تقديم:..63

أولا: حملات تيمورلنك على شمال بلاد الشام..64

ثانيا: حصار دمشق...73

ثالثا: المغول وسكان المدينة...87

رابعا: أعمال تيمورلنك في دمشق...94

خامساً: أسباب رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام 102

خاتمة: 109

خاتمة الرسالة..110

قائمة المصادر والمراجع 114- 133

قائمة المختصرات:

جزء	ج
عدد	ع
مجلد	مج
دون تاريخ	(د. ت)
دون ناشر	(د.ن)
ط	الطبعة
ص	الصفحة

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في سير حملة تيمورلنك على شمال بلاد الشام 803هـ/ 1401م، وكان قد سبق هجوم تيمورلنك عليها، مرحلة طويلة من الإحتكاكات والإتصالات الدبلوماسية بين تيمورلنك ودولة المماليك، بدأت في عهد السلطان المملوكي برقوق واستمرت إلى عهد ابنه الناصر فرج (795-805هـ) / (1399-1412م)، وبقيت الإتصالات مستمرة بين الدولتين إلى ما بعد انتهاء تيمورلنك من حملته على بلاد الشام.

ويتلخص الموضوع في محاولة لفهم الموقف الذي اتخذه السلطان الظاهر برقوق (748هـ-801هـ)/ (1382م – 1399م) ومن بعده ابنه السلطان الناصر فرج(801هـ - 815هـ)/ (1399م- 1412م)، لإنقاذ بلاد الشام ومدينة دمشق، في الوقت الذي كانت دولة المماليك تشهد فتنا داخلية بين الأمراء والنواب في محاولة منهم لإضعاف السلطنة المملوكية والحصول على مكاسب سياسية، وأعمال تيمورلنك خلال فترة اجتياحه لبلاد الشام وما قام به من تعطل للحياة العامة، والمجازر والسبي والتدمير ضد السكان، ومساكنهم ومحلاتهم التجارية ومساجدهم ومدارسهم، في شمال بلاد الشام ومدينة دمشق، وسبب رحيله عنها بالرغم من تسليم المدينة.

تتمثل إشكالية الدراسة في تناول أسباب عدم إكمال تيمورلنك لمخططه في القضاء على دولة المماليك في بلاد الشام على الرغم من أنه قد نجح عسكريا. وافترضت الدراسة ثلاثة فرضيات للإجابة على عدم مكوث تيمورلنك في بلاد الشام وخروجه منها دون القضاء على دولة المماليك حيث أشارت الفرضية الاولى إلى السياسة والاستراتيجية التي يحملها تيمورلنك والتي تقوم على الغزو والنهب والتدمير ثم الرحيل. أما الفرضية الثانية فقد افترضت أن تيمورلنك أراد اضعاف الدولة المملوكية فقط. في حين كانت الفرضية الثالثة حاملة لعدة تساؤلات بداخلها وهي هل الانسحاب يعود إلى موقف بعض النواب والامراء الذين أصروا على المقاومة والدفاع عن بلاد الشام، أم أن هناك أسباباً داخلية تتعلق بأوضاع مملكته؟

ولتحقيق هذا الغرض استخدم الباحث في هذه الدراسة أكثر من منهج، حيث بدأ بالمنهج التاريخي السردي، لتتبع مجريات الحملة التيمورية على بلاد الشام، ثم استعان بالمنهج التاريخي التحليلي، عندما وقف أمام الروايات التاريخية ذات العلاقة بحملة تيمورلنك على

بلاد الشام من حيث تحليل موقف السلطة المملوكية والعلماء ودورهم في وقف الحملة ومقاومتها وكيفية سيرها على بلاد الشام وصولا إلى دمشق.

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة فصول تليها الخاتمة. تناول الفصل الأول " المغول" بعرض سريع، فيتطرق إلى القبائل المغولية، والعلاقة بين المغول والأتراك، والنظم المغولية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودور جنكيزخان زعيم المغول الذي وحد المغول تحت إمبراطورية واحدة وقانون واحد، وفي النهاية استقرار المغول في بلاد الشام زمن الدولة المملوكية الأولى.

أما الفصل الثاني فيتحدث عن " تيمورلنك والدولة المملوكية الثانية" تيمورلنك، من حيث اسمه ونسبه وشخصيته، والعلاقة بين تيمورلنك والسلطان برقوق ومن بعده ابنه السلطان الناصرفرج. بينما الفصل الثالث فيناقش "حملة تيمورلنك على دمشق" حيث تم التطرق إلى حملات تيمورلنك على شمال بلاد الشام ، وحصار دمشق وسقوطها على يد تيمورلنك، والعلاقة بين القوات المغولية وسكان دمشق، وأعمال تيمورلنك في دمشق، وأسباب رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام كما ويلقي الضوءعلى نهاية الحملة والنتائج التي ترتبت عليها.

أما الخاتمة فقد أظهرت المكر والخديعة وحالة العداء التي يكنها تيمورلنك ضد المماليك وسعيه لإظهار احتقاره لهم في كل مناسبة، والتفنن في القتل والمجازر التي قام بها تيمورلنك وجيشه ضد سكان شمال بلاد الشام ومدينة دمشق، من أجل السيطرة والتوسع، والانتقام منهم ومعاقبتهم وعجز السلطان فرج عن الدفاع عن بلاد الشام بسبب سوء الأحوال السياسية في السلطنة المملوكية والنزاع بين الأمراء والنواب في مصر وبلاد الشام.

Abstract:

This study highlights the course of Timurlane Campaign on Bilad Al-Sham (803 Hijri/1401AD), providing that before Timurlane attack, Bilad Al-Sham has witnessed a long period of diplomatic contacts between Timurlane and the Mamluk State, which began in the reign of the Mamluk Sultan Barquq, and continued until the reign of his son, Al Nasser Faraj (801-815 Hijri) – (1393/1405 AD). The contacts continued between both states until after the end of Timurlane campaign on Bilad Al-Sham.

The study focuses on attempting to understand the attitude of Sultan Al Zahir Barquq (784-801 Hijri)/ (1382-1399 AD), and Sultan Al Nasser Faraj (801-815 Hijri)/ (1399-1412 AD) who ruled after him, to rescue Bilad Al-Sham and Damascus City at the time when the Mamluk State was witnessing internal commotions between princes and deputies in an attempt to weaken the Mamluk Sultanate and obtain political gains, in addition to the acts of Timurlane during the period of his invasion against Bilad Al-Sham and the disruption of public life he caused, as well as the massacres, exile, and destruction caused to the population, their houses, commercial shops, mosques, and schools, whether in Bilad Al-Sham or Damascus City, and the reason of retreating despite handing over the city.

The problem of the study is represented in addressing the reasons why Timurlane did not complete his plan in eradicating the Mamluk State in Bilad Al-Sham, despite the fact that he has militarily succeeded. The study suggests three assumptions to reply to this. The first assumption is the policy and strategy of Timurlane based on invasion, despoliation, and destruction and then retreating. The second assumption is the fact that Timurlane wanted to weaken the Mamluk State only. Whereas the third assumption is the question "Does retreating refer to the stand of some deputies and princes who insisted

to resist and defend Bilad Al-Sham, or there are internal reasons related to his State conditions?"

To achieve this objective, the researcher has used more than one methodology in this study. Starting with the narrative historical approach used to follow up with the Timorese campaign developments on Bilad Al-Sham. Then, the analytical historical approach used to highlight the historical narratives related to Timurlane campaign on Bilad Al-Sham, and to analyze the stand of the Mamluk Authority, and the scientists' role in resisting the campaign, as well as the course of the campaign within Bilad Al-Sham reaching Damascus City.

The study is comprised of three chapters followed by the conclusion. The first chapter, titled "The Mongols", is a brief overview on the Mongol tribes, the relation existing between the Mongols and the Turks, the social, economic, and political Mongols systems, the role of Genghis Khan, the Mongol Leader, in unifying the Mongols under one empire and one law and in the end, the settlement of the Mongols in Bilad Al-Sham during the reign of the first Mamluk State.

Whereas the second chapter titled "Timurlane and the Second Mamluk State", addresses Timurlane himself in terms of his name, lineage, and personality, the relation between Timurlane and Sultan Barquq, as well as his son, Sultan Al Nasser Faraj after him. While the third chapter, titled "Timurlane Campaign on Damascus", addresses Timurlane campaigns against Bilad Al-Sham, Damascus siege and fall at the hands of Timurlane, the relation between the Mongol forces and Damascus population, the acts of Timurlane in Damascus, the reasons of Timurlane retreat from Bilad Al-Sham, as well as the end of the campaign and the relevant outcomes.

The conclusion shows the cunning, deception, and state of hostility of Timurlane against the Mamluk, his endeavors to show his contempt towards the Mamluk in every occasion, as well as murdering, and causing massacres with his army against the people of Bilad Al-Sham and Damascus, for the purpose of controlling, expanding, revenging, and punishing the Mamluk. In addition, the conclusion addresses the disability of Sultan Faraj in defending Bilad Al-Sham due to the poor political situation in the Mamluk Sultanate, and the conflict between princes and deputies in Egypt and Bilad Al-Sham.

مقدمة:

يمثل الغزو المغولي موجة من الموجات العاصفة التي واجهت العالم الإسلامي في العصور الوسطى، واستمرت تجتاحه بعنف على دفعات متوالية لأكثر من قرنين ونصف، ابتداء من عهد جنكيزخان 600هـ/1204م، وانتهاء بحملة تيمورلنك 803هـ/ 1401م على شمال بلاد الشام، والدولة العثمانية فيما بعد.

كان ظهور تيمورلنك نتاجاً لحالة التفتت والصراع داخل الإمبراطورية المغولية، وهو أحد أبناء قبيلة برلاس التركية[1]، وقد ولد في مدينة كش، من وراء النهر. وهو مؤسس السلالة التيمورية الحاكمة[2]. وتعني كلمة لنك الأعرج، أما كلمة تيمور فتعني بالأوزبكية الحديد. ويقال إن أمه من سلالة جنكيزخان[3]، بينما أبوه كان من الفلاحين.

نجح تيمورلنك في إعادة توحيد الإمبراطورية المغولية وتوسيع رقعتها، فامتدت في عهده من بلاد الأناضول[4]، إلى سانغ – كيانغ في الصين، ومن سيبيريا حتى الحدود الهندية، وقد حقق هذا التوسع نتيجة خوضه سلسلة من الحروب في الشرق والغرب تلك الحروب التي استخدم فيها كل أنواع القوة والقهر.

شكل تيمورلنك جيشاً ضخماً قوامه الأتراك، والقبائل المغولية القديمة التي تعود بإصولها إلى التركية. وركز في حملاته التي سميت حملات السنوات السبع (801هـ -807هـ) / (1400-1406م) لمعاقبة المماليك والانتقام منهم لأنهم قاموا بقتل رسله، فانتقل تيمورلنك لغزو بلاد الشام بعد أن سيطر على معظم إيران والعراق، فقدم من شمال الشام متجها نحو الجنوب صوب مصر إلا أن حملته قد توقفت عند دمشق، التي قضى فيها ثمانين يوما.

مهد تيمورلنك لغزو بلاد الشام بالإغارة على ملطية والاستيلاء عليها مطلع عام 803هـ / 1401م، ثم انزل الهزيمة بالجيوش المملوكية في حلب ثم في دمشق واحتل

---

1 حطيط، أحمد. **حروب المغول**. ط1. بيروت: دار الفكر اللبناني. 1994م. ص79.

2 رنسيمان، ستيفن. **تاريخ الحروب الصليبية**. ترجمة: سيد الباز العريني. ج3. بيروت: دار الثقافة. 1997م. ص772.

3 ابن حجر، **انباء الغمر بأبناء العمر**. ج4. بيروت: دار الكتب العلمية. تحقيق: محمد عبد المعيد. 1982.ص521.

4 حطيط. **مصدر سبق ذكره**.. ص79.

واستباح كل المدن الكبيرة بالإقليم[5]، ثم رحل عنها بعد ذلك مصطحبا أفضل علمائها وأمهر صناعها، واتجه إلى طرابلس وبعلبك فدمرهما، وعند مروره على حلب وهو في طريق عودته إلى سمرقند أحرقها وهدم أبراجها وقلعتها، ولم تسلم منه إلا مدينة حمص[6].

وشبه بعض المؤرخين أعماله بالجراد الذي يهاجم منطقة ويأكل ما فيها ثم يتركها إلى منطقة أخرى[7]. ويلاحظ أن القوى المحلية التي هزمها سرعان ما تعود بعد مغادرته وتحكم المنطقة. فلم يستعمل سياسة جنكيزخان وهولاكو في إبقاء قواعد عسكرية إلا في المناطق القريبة من سمرقند، ثم في بغداد[8].ولم يقم بترتيب أوضاع بغداد ولا الأناضول بعد غزوهما، بل انشغل بمشروع غزو الصين ومات في أول مسيره إليها.

إن دراسة موضوع " تيمورلنك وحملته على بلاد الشام 803هـ /1401م ، هي محاولة لكشف اللثام عن حملة تيمورلنك على بلاد الشام في عهد السلطان الظاهر برقوق (784 - 801هـ) (1382م/ 1399) وابنه السلطان الناصر فرج (801- 815هـ) (1399/ 1412م) في ظل تباين آراء المؤرخين ومن كتب عن هذه الحملة. ومعرفة الأسباب الحقيقية وراء عودة تيمورلنك وعدم قضائه على المماليك.

إشكالية الدراسة:

وتتمثل إشكالية الدراسة في أنه " على الرغم من أن تيمورلنك قد نجح عسكريا في حملته على بلادالشام، إلا أنه سرعان ما توقف عن إكمال مخططه في القضاء على دولة المماليك".

فرضيات الدراسة:

فهل يعود رحيل تيمورلنك وعدم قضائه على المماليك إلى سياسة وإستراتيجية تيمورلنك والتي تقوم على السلب والتدمير ونهب أكبر قدر من الثروة ثم العودة إلى بلاده.

---

[5] رنسيمان. **مصدر سبق ذكره**. ص773.
[6] ابن العماد. **مصدر سبق ذكره**. ص64- ص65.
[7]ابن العماد. **مصدر سبق ذكره**. ص65.
[8] الأمين، حسن. **مستدركات أعيان الشيعة**. مج4. بيروت. 1992م. ص78.

أم أنه أراد فقط اضعاف الدولة المملوكية ليتسنى له غزو الدولة العثمانية وتأديب السلطان العثماني بايزيد.

أم يعود إلى موقف نواب وأمراء شمال بلاد الشام الذين أصروا على المقاومة والدفاع عن البلاد. أم أن هناك أسبابا داخلية تتعلق بأوضاع مملكته..

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن الأوضاع التي كانت سائدة في بلاد الشام قبل الغزو المغولي التيموري، وكشف حقيقة رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام دون أن يقضي على المماليك مع أنه كان قد احتلها واستباحها، وأيضا الكشف عن شخصية تيمورلنك وحقيقته وسير حملته على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق.

منهجية الدراسة:

ستعتمد الدراسة على منهجين تاريخيين هما:

<u>المنهج التاريخي السردي</u> لتتبع مجريات الحملة التيمورية على بلاد الشام، ولأجل ذلك تم الاعتماد على الروايات التاريخية المستقاة من المصادر التاريخية الخاصة بالتاريخ العربي الإسلامي.

ثم يأتي دور **<u>المنهج التاريخي التحليلي</u>** لدراسة الروايات التاريخية وتحليلها،للخروج باستنتاجات أكثر دقة للإجابة على السؤال التالي: "كيف سارت حملة تيمورلنك على بلاد الشام؟".

مراجعة أدبيات الدراسة:

سيتم الإشارة إلى نوعية المصادر التي تم الإعتماد عليها بشكل أساسي في الدراسة، فالاعتماد الأكبر سيكون على مصادر التاريخ العربي الإسلامي، مثل كتب المؤرخين أمثال ابن الفرات، والقلقشندي، والمقريزي، وابن قاضي شهبة، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، والسخاوي، والعيني، وابن إياس، وابن عربشاه، إن هذه المصادر رغم غناها بالمعلومات إلا أن هناك تغييبا واضحا لبعض المعلومات التاريخية التي تهمنا، كما أن

معظمها لا يقوم بالتحليل والتمحيص، مع أن البعض منهم يذكر أحيانا بعض الإشارات التي ترجح رواية على أخرى أو معلومة على معلومة.
ولا بد من الإشارة هنا إلى مصدر مهم لابن عربشاه" عجائب المقدور في أخبار تيمور" المنشور سنة 1817م، وأفرد حديثه عن حملة تيمورلنك على بلاد الشام، والشيء الوحيد الذي لم يذكره هو اللقاء الذي جمع بين تيمورلنك وابن خلدون ويعتبر هذا المصدر من أفضل ما كتب عن حملة تيمورلنك على بلاد الشام والدور المملوكي ودور السكان المحليين في مقاومة الحملة، أما كتاب المقريزي" السلوك لمعرفة دول الملوك"، المنشور سنة 1997م، عن دار الكتب العلمية في بيروت، فقد وفر مادة خصبة عن حملة تيمورلنك على بلاد الشام 803هـ /1401م، وكتاب ابن تغري بردى" المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي"، والحقق من قبل فهيم شلتوت، الصادر عن دار الكتب المصرية في القاهرة والمنشور سنة 2008م، وفر معلومات جيدة عن تلك الحملة، إلا أن المقريزي أعطى معلومات أكثر تفصيلا عن الحملة ولم يكتفِ بذكر الحملة فقط، بل فصل ووقف على مجريات الأحداث التي حصلت قبل الحملة وبعدها وأثنائها بعكس ابن تغري بردى الذي تحدث عن الحملة باختصار شديد وبالتالي أعطى صورة غير مكتملة عن الحملة.

ويذكر ابن تغري بردى في كتابه" المنهل الصافي" أن برقوق السلطان المملوكي تابع مجريات الحملة المغولية قبل دخولهم لبلاد الشام والمراسلات الدبلوماسية التي جرت بين المماليك وتيمورلنك في حين أن المقريزي لا يذكر ذلك الموقف.

ويمكن تقسيم هذه الأدبيات إلى مجموعتين: المجموعة الأولى أبحاث ودراسات تتناول الحديث عن بلاد الشام بشكل عام، ومن أبرز هذه الدراسات دراسة أحمد عودات وآخرون المعنونة بتاريخ المغول والمماليك (من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري)،المنشورة بواسطة مكتبة الدراسات الإجتماعية عام 2001م، أما المجموعة الثانيةمن الأدبيات فهي الدراسات التي تتحدث أكثر تفصيلا عن حروب تيمورلنك على بلاد الشام ومن بين هذه الدراسات: كتاب" تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع ترجمة مقال

للكاتب اللاتيني دي ميخائيللي عن حياة تيمورلنك المنشور بواسطة دار النهضة العربية، عام 2005م.

وقد تم الاستفادة من المراجع التي تحدثت عن تيمورلنك وأفردت جزء بسيط عن حملة تيمورلنك وأعماله في شمال بلاد الشام ومدينة دمشق، فقد تحدث سعيد عاشور في كتابه " مصر وبلاد الشام في عهد الأيوبيين والمماليك "، عن حملة تيمورلنك على بلاد الشام بإختصار شديد ولم يأتِ على ذكر مجريات الحملة واللقاء الذي جمع تيمور بابن مفلح وابن خلدون، واقتصر الحديث في كتابه عن موقف السلاطين المماليك (الظاهربرقوق وإبنه الناصرفرج) وذكر شيئآ بسيطآ عن نهاية الحملة، في حين نجد أن الكاتب الإنجليزي استانلي لين بول في كتابه" تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى الرابع عشر الهجري، الصادر عن الدار العربية للموسوعات بيروت، يذكر تفاصيل الحملة دون ذكره لموقف المماليك والتدابير الوقائية التي اتخذوها لوقف حملة تيمورلنك على دمشق، وأفرد كتاب فيشل والتر" لقاء إبن خلدون لتيمورلنك" الصادر عن مكتبة دارالحياة في حديثه عن حملة تيمورلنك واللقاء الذي جمعه بابن خلدون الذي لم تتحدث المصادر التاريخية عنه، وذكرت فقط لقاء ابن مفلح لتيمورلنك وإقراره على الصلح، في حين أن إحسان عباس في كتابه" تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك648هـ/923هـ" أعطى صورة واضحة ومتكاملة عن حملة تيمورلنك على بلاد الشام، وتحدث عن الخدعة التي قام بها تيمورلنك عند لقائه مع ابن مفلح والاتفاق معه على التسليم وعدم القتال ، ولكنه أهمل الحديث عن موقف المماليك والسكان المحللين من الحملة، فكيف لنا أن نفهم هذا التغاضي مع أن المصادر التاريخية ذكرت أن المماليك وقفوا موقفآ معاديآ للحملة وأصروا على مواجهة تيمور وجيشه؟

ولهذا جاءت هذه الدراسة من أجل الوقوف على تفاصيل ومجريات حملة تيمورلنك على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق، وموقف السلطات المملوكية في القاهرة من الحملة،

والموقف الذي وقفه العلماء والامراء من الحملة، والأهم من ذلك نتائج الحملة على شمال بلاد الشام من ناحية طمس المعالم التاريخية من مساجد ومدارس وهلاك المحاصيل الزراعية وإحراق مدينة دمشق ومدنها.

صعوبات الدراسة:

يواجه الباحث صعوبات عديدة عند دراسة أي موضوع ومن الصعوبات الأساسية التي واجهت الباحثة عدم الإلمام باللغة الأجنبية والفارسية فهناك كتب عديدة يوجد فيها معلومات قيمة عن الموضوع لم تترجم إلى العربية ولا تتوفر في المكتبات العربية، مثل كتاب" مذكرات عن تيمورلنك وبلاطه" بقلم قس دومينيكي في سنة 1403- 1406م، وكتاب عن" حياة تيمورلنك" بقلم دميكنانلي الذي ألف سنة 1416م، وقد ألف بالفارسية عدة كتب لم يتم ترجمتها إلى العربية، نذكر منها كتاب المؤرخ الإيراني لبلاط تيمور (شرف الدين علي اليزدي) مؤلفكتاب (ظفر نامة) أي كتاب الغلبة والظفر، وكتاب نظام الدين (ظفر نامة) الذي ألف بأمر من تيمورلنك نفسه وقدم إليه قبل قبل وفاته سنة 1405م، وهؤلاء المؤرخون كلفوا بتدوين التفاصيل الدقيقة لأقوال تيمورلنك وأعماله، سواء أكان في ساحة الحرب ، أم في عاصمته، أم في خيمته، وكانوا أحرص الناس على وصف كل فعله من أفعال تيمورلنك الخاصة والعامة بتدقيق بالغ.

محتوى الدراسة:

أما عن هيكلية الدراسة فقد تم تقسيمها إلى ثلاثة فصول: جاء الفصل الأول تحت عنوان "المغول"، ويتناول هذا الفصل: الحديث عن القبائل المغولية التي هاجرت إلى بلاد الشام واستقرت فيها، والعلاقة بين المغول والأتراك حيث تذكر بعض المصادر وجود علاقة بين المغول والأتراك وخاصة أن جيش تيمورلنك كان يضم عدداً لا يستهان به من الجنود والأتراك، ثم النظم المغولية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة قانون " الياسا " الذي عده المؤرخون خير قانون وحد وحكم الإمبراطورية المغولية لقرون عديدة، وأخيرا أُنهي هذا الفصل بالحديث عن استقرار المغول في بلاد الشام زمن الدولة المملوكية الأولى.

وتناول الفصل الثاني " تيمورلنك والدولة المملوكية الثانية"، فابتدأ بتيمورلنك اسمه ونسبه وشخصيته كما تصورها لنا المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وموقف السلطان برقوق وابنه فرج وحاشيتهم من حملة تيمورلنك على بلاد الشام، فقد بينت المصادر أنه جرى إرسال الرسل من قبل تيمورلنك قبل حملته على بلاد الشام إلى السلطان برقوق ولكن قتل جنود السلطان الرسل بأمر منه.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان"حملة تيمورلنك على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق"، وقسمَّ الفصل إلى أربعة أجزاء تناولت: حملات تيمورلنك على شمال بلاد الشام وحصار دمشق وسقوطها على يد تيمورلنك، والقوات المغولية وموقف سكان دمشق من الحملة وكيف تكاتفوا من أجل صد العدوان المغولي عن مدينة دمشق وأحيائها واللقاء الذي عقد بين تيمورلنك وابن خلدون وابن مفلح وما نتج عن هذا اللقاء، وأعمال تيمورلنك في دمشق ونتائج الحملة على دمشق وتم تخصيص فصل للحديث عن أسباب عدم بقاء تيمورلنك في بلاد الشام.

هذا إضافة للمقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الاول:

المغول

تقديم:

يتناول هذا الفصل الحديث عن المغول الأصل والنشأة والإندماج والتوحد، فالمغول كانوا عبارة عن مجموعة من القبائل الصغيرة المتناثرة التي تنتشر في مناطق آسيا الوسطى وبالتحديد ما بين روسيا ومنغوليا وترجع في جذورها إلى أصول متعددة كالترك والتتار وقامت بينها الحروب الطاحنة إلى أن ظهر جنكيز خان الذي قام بتوحيد تلك القبائل تحت إمرته عام 602هـ/ 1206م.

بذل جنكيز خان جهد كبير أثناء تأسيس الامبراطورية المغولية ونظمها في جميع مجالاتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية، وخاصة قانون الياسا الذي عده المؤرخون خير قانون وحد وحكم الإمبراطورية المغولية لقرون عديدة، واستقرار المغول في بلاد الشام زمن الدولة المملوكية الأولى أي في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي وقد جاءوا إليها على شكل مماليك رقيق عن طريق الشراء وأطلق عليهم اسم الجلبان، والقسم الثاني جاءوا على شكل لاجئين بأعداد كبيرة هاجروا إلى دولة المماليك بحثا عن الاستقرار في ظل الصراع بين القبائل المغولية المختلفة وخاصة بعد وفاة جنكيزخان .

أولا: القبائل المغولية:

قبل الحديث عن القبائل المغولية ونشأتها، لا بد من تناول أصل كلمة المغول ومعناها اللغوي والاصطلاحي، فالمغول اصطلاحاً: يطلق عليهم المغول أو المغل، وهم قبائل من الجنس الأصفر كانوا يسكنون منغوليا شرق سيبيريا على حدود الصين، وقد اختلطوا بالقبائل التركية حتى أن البعض صار يجعلهم من قبائل الترك[9].

ويقصد بالمغول من الناحية اللغوية: صداع وألم في الرأس، والمشقة والمصيبة، والسوط أو العصا الذي في باطنه سنان دقيق، والجمع مغاول[10]، وتغول الأرض:أي ضل فيها وهلك، وتغول الغيلان القوم: أضلتهم عن المحجة[11]، وقيل الغيلان: الشجر السمر، وهو نوع من جنس السنط من الفصيلة القرنية ويسمى أيضا الطلح[12]، بينما غاله أخذه من حيث لم يدر، والغول : السكر[13].

قال ابن السكيت يقال غاله يغوله إذا اغتاله وكل ما أهلك الإنسان فهو غول، وقالوا الغضب غول الحلم أي أنه يهلكه ويغتاله ويذهب به[14]، وقيل هو أن يخدع الإنسان حتى يصير إلى مكان قد إستخفى له فيه من يقتله[15].

وقد أطلق المؤرخون على المغول اسم التتار16، وهذا الاسم بجذوره اللغوية قد استرعى إنتباه الكثير من المفسرين، فهناك من يرى أنه مشتق من (تات) بمعنى الجبل و(آر) بمعنى ساكن، أي ساكن الجبل، وكلمة (آر) تركية الأصل تعني الإنسان، ومن هنا يبدو أن اسم التتار يعود بجذوره إلى اللغة التركية [16]وقد ورد هذا الاسم في الكتابات الأورخونية التركية[17].

---

[9] **المعجم الوسيط**. ج2. القاهرة: دار الدعوة. 2010. ص865.

[10] .**المصدر السابق**. ص866.

[11] **المصدر السابق**. ص866.

[12]أبو الفيض، محمد بن محمد الحسيني. **تاج العروس**.ج2. الكويت:(د.ن). 2008م. ص143.

[13] **المصدر السابق**. ص143.

[14] إبن منظور. **لسان العرب**. ج11. القاهرة: دار الصحابة. ص507.

[15]**المصدر السابق**. ص508.

[16]النويري، شهاب. **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ط1. تحقيق: نجيب مصطفى. بيروت: دار الكتب العلمية. 2004. ص206.

[17]**الارخونية :هي كتابات يعود تاريخها إلى القرن 2هـ - 8م، انظر دائرة المعارف الاسلامية.التتار. مج4. ص576.**

وتقسم دائرة المعارف الإسلامية التتار إلى طائفتين: التتر الثلاثون والتتر التسع وقد وصفت تلك الطائفتان بالشجاعة والقوة[18]، وامتدت مناطق سكناهم بين نهر أرغون وسلنجا شمالاً والصين الشمالية شرقاً والأيغور غرباً وإقليم التبت جنوباً[19].

وقد خلطت العديد من المصادر التاريخية العربية وغير العربية بين المغول والتتار، علما بأن المغول هم الأصل والتتار هم الفرع أي أن التتارهم جزء من المغول. وقد إشتهر التتار بالقوة والبأس الشديد والبطش، والإغارة على القبائل المغولية.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية العربية وغير العربية التي ذكرت التتار، يُشيرابن الأثير إلى:" أنهم قد خرجوا من أطراف الصين"[20]، بينما إبن واصل أشار إلى: "أنهم كانوا يسكنون آخر الشرق في البوادي والقفار"[21]، في حين ذكر المنصوري أنهم:" كانوا مقيمين في صحراء متاخمة لبلاد الصين يقال لها جين ماجين"[22]، وتنقسم قبيلتهم إلى ثلاثة أقسام هي: التتار البيض، والتتار السود، وتتار الغابة[23].

كان المغول عبارة عن مجموعة من القبائل الصغيرة المتناثرة التي تنتشر في مناطق آسيا الوسطى و بالتحديد حول نهر أونون ما بين روسيا ومنغوليا حاليا وترجع جذورها إلى أصول متعددة كالترك والتتار، وبذلك أضحت القبائل جميعها في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، نواة الشعب المغولي الذي برز منذ ذلك التاريخ وأصبح يعرف بهذا الإسم[24].

واستعرت الحرب الدائمة بين القبائل المغولية المتجاورة إلى أن ظهر جنكيزخان الذي قام بتوحيد قبائل المغول والتتار تحت امرته[25]، وبالتالي ازداد سلطانه وذاعت شهرته، ما

---

[18] هوتسما وآخرون. **التتار**. تحقيق:ابراهيم وآخرون. الشارقة:مركز الشارقة.مج4. 1998.ص576- 577.
[19] إقبال،.**مصدر سبق ذكره** ص48؛ الصياد.**مصدر سبق ذكره**. ص25-26.
[20] إبن الأثير، أبي الحسن. **الكامل في التاريخ**. ج9. ط4. بيروت: دار الكتاب العربي. 1983م. ص330.
[21] إبن واصل، جمال الدين. **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**. ج4.تحقيق:حسين ربيع. (د.ت). ص36.
[22] المنصوري، بيبرس بن عبد الله. **مختار الأخبار**. ط1.القاهرة:الدار المصرية اللبنانية.1993م.ص6
[23] شبولر، برتولد.**العالم الإسلامي في العصر المغولي**.عربه:خالد أسعد.دمشق:دار احسان.1982 ص20.
[24] رنسيمان.**مصدر سبق ذكره**. ص410.
[25] رنسيمان، **مصدر سبق ذكره**. ص410.

جعله يهزم بعض قبائل التتار ويقهرها[26]، وابتدأ فتوحه في شمال الصين فأخضع معظمها ثم إتجه غربا، فدمر الدولة الخوارزمية واحتل ممالكها (بلاد ما وراء النهر ثم خراسان ثم فارس)، وبلاد ما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه أغلب المؤرخين والجغرافيين العرب على تلك البلاد التي تلي نهر جيحون من ناحية إيران[27] وأخضع لنفوذه تباعا قبائل الكرايت، والنيمان، والمركيت، والأويران، ولم تدخل سنة 602هـ / 1206م، حتى كان جنكيز خان قد بسط سيطرته على منطقة شاسعة من إقليم منغوليا[28]، تمتد حتى صحراء جوبا،حيث مضارب معظم القبائل الأخرى، وإتخذ من حصن قراقوم مقرا له[29].

وقد توحدت القبائل المغولية بعد أن كانت قبائل متفرقة ومتصارعة اتسمت بالعنف والتخريب، وكانت كل قبيلة منها تسعى إلى الاستيلاء على ما في أيدي الآخرى، ومن ثم السيطرة على بقية القبائل[30]، وشكلت عناصر جيدة في الجيوش على اعتبار أنهم محاربون من طراز فريد[31].

وعاشت القبائل المغولية في المنطقة الواقعة في وسط آسيا ويحد هذه المنطقة من الشمال سهول سيبيريا ومن الجنوب صحراء جوبي، ومن الشرق منشوريا، ومن الغرب جبال التاي التي تعد من أبرز القمم الجبلية والتي تقع في وسط آسيا[32]، وتمتد حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق وتصل حتى أقصى الشمال الشرقي لآسيا[33].

ويوسع البعض في حدودها من وسط آسيا حتى امتد بها إلى البحر الأدرياتيكي الذي يقع شمال إيطاليا والذي يعد أحد فروع البحر المتوسط، وهضبة منغوليا، وسلاسل جبال تيان شان، وجبال التاي وما بينهما من سهول وصحاري[34]، وتعد من الناحية الجغرافية من أقسى النواحي معيشة في كافة أنحاء آسيا المركزية والشرقية، حيث تركز فيها طوائف من

---

[26] رنسيمان. **مصدر سبق ذكره.** ص411.
[27] المقدسي. **مصدر سبق ذكره.** ص260- 284؛ ياقوت. **مصدر سبق ذكره.** ج5. ص45.
[28] **إقليم منغوليا: يقع في آسيا الوسطى يحدها روسيا شمالاً والصين جنوباً، لاين.عصر المغول.ص18.**
[29] ابن العبري.**مصدر سبق ذكره. ج1، ص248.**

[30] . ابن سباط، حمزة بن أحمد. **تاريخ ابن سباط.** ط1. لبنان: نشر روس برس. 1993م. ص257.
[31] . جوانفيل.القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام(مذكرات جوانفيل)..ط1. مصر: دار المعارف. 1968. ص17.
[32] . الصياد، فؤاد عبد المعطي. **المغول في التاريخ.** بيروت: دار النهضة العربية. 1980م. ص30.
[33] الخالدي، اسماعيل. **العالم الإسلامي والغزوالمغولي.**الكويت: الفلاح للنشر والتوزيع. 1984. ص19.
[34] العريني، السيد الباز. **المغول.** بيروت: دار النهضة العربية. 1986.ص5- 8؛ اقبال. **المصدر السابق.** ص45.

الجنس الأصفر من المغول والتتار. والموطن الرئيس الذي استقرت فيه هذه القبائل هو السهول الواقعة بين سلاسل الجبال ومناطقها الدافئة شتاء، حتى تتوفر المراعي لحيواناتهم، وفي الصيف كانوا يستقرون في المرتفعات وأعالي الجبال[35].

ومن أشهر تلك القبائل التي قاتلت تحت راية جنكيز خان وساهمت في تأسيس إمبراطوريته الشاسعة:قبيلة النايمان: وموطنها جبال التاي حول الحوض الأعلى لنهر أرخن[36]، وهذه القبيلة قريبة من قبائل الأوغور التركية في الجنوب، وهي الأكثر تمدنا وتقدما بين الشعوب ومعنى الاسم نايمان: ثمانية[37]، واشتهرت هذه القبيلة بالقوة العسكرية، وهم أول من تبنى الأحرف الهجائية الأيغورية ونقلوها إلى اللهجة المغولية، وكان النايمان بدو رحل يقيم معظمهم في الجبال والصحاري و إشتهرت ملوكهم بالقوة ولديهم جيش منظم، ونظام دولة متطور[38].

أما قبيلة المركيت التي كانت تسكن الإقليم الواقع شمال بلاد الكريت[39]، فتعد من أكثر القبائل المغولية قوة نظرا لكثرة العدد والعتاد العسكري لديها، فكانت طرفا في الحروب التي حصلت في المنطقة[40]، وهاجمت جنكيز خان وعائلته وأوقعت بهم وبمنازلهم خسائر فادحة[41]، وتميزت بدرجة عالية من الحضارة مقارنة بغيرها من القبائل.

هذا إلى جانب قبيلة القيات التي ينتمي لها جنكيز خان، هذه القبيلة المغولية الوثنية التي كانت تقيم في الشمال الشرقي لمنغوليا الحالية وما بين نهري أونون وكيرولين[42]، وإستطاعت هذه القبيلة رغم قلة عدد أفرادها أن تتبوأ مكانا مرموقا بين القبائل المغولية أيام جنكيزخان . وارتبط تواجد القبائل بجوار مناطق الرعي حيث احترفت هذه القبائل حرفة

---

[35]. العريني، السيد الباز . **المغول**. بيروت: دار النهضة العربية. 1986م. ص5-ص8.
[36]. الجويني. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص69- 71.
[37]. حطيط. **مصدر سبق ذكره**. ص14.
[38]. العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص35؛ الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص29 - 30.
[39]. الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص28؛ وحطيط. **مصدر سبق ذكره**. ص15.
[40] الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص28.
[41]. شبولر. **مصدر سبق ذكره**. ص24.
[42]. سالم، السيد، وسحر السيد سالم. **الأيوبيين والمماليك**. بيروت: دار النهضة العربية. 1989. ص224.

الرعي، ما أمكن لهم استغلال مراعيهم بسهولة ويسر، كقبيلة أويران التي كانت تقيم في المنطقة الواقعة بين نهر أونن وبحيرة بيكال على مقربة من منابع نهر نيسي[43].

وظهرت قبيلة الكرايت، وذاع صيتها، وهي قبيلة بدوية تركية الأصل[44]، وكان موطنهم في الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جويى جنوب بحيرة بيكال حتى سور الصين العظيم[45].

ثانيا: المغول والأتراك:

عاش المغول والترك حياة تسودها حالة من الصراع فكان كل طرف يسعى للقضاء على الآخر من أجل البقاء والسيطرة، نظرا لعلاقة الجوار التي كانت بينهما وتشابهت حياة القبائل التركية مع حياة القبائل المغولية التي يربطها بالمغول نسب قديم ومنها: قبيلة الأتراك الأويغوريون[46]، الذين سكنوا في الشمال الشرقي من تركستان الحالية، وأقاموا حضارة في موطنهم في وادي نهر التاريم ومنخفض طورقان[47]، وابتكروا أبجدية اللغة التركية، التي استندت إلى الحروف السريانية، وامتدت مدينتهم إلى الكرايث [48]، والنايمان، لأن النايمان يقع بين هذين الشعبين التركيين.

ووجدت أيضا قبيلة القرغيز وهم إحدى القبائل التركية التي كانت تسكن في أعالي نهر "ينسي"، وكان أميرهم يلقب خاقان، واشتهروا سياسياً حوالي سنة 250هـ/ 864م، حينما تغلبوا على الأويغور من منغوليا ولكن الخطا هزموهم وطردوهم من منغوليا في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، واحترفوا الزراعة وبعد ذلك خضعوا للمغول كما القبائل الأخرى زمن جنكيز خان سنة 615هـ/ 1218م[49].

وهناك قبيلة الأغوز الغُز في اللغة العربية: وهم من القبائل التركية وعرفوا بإسم التغزغز أي- القبائل العشرة - لأنهم كانوا يتألفون من عشر قبائل، دخل "الغز" إلى البلاد الإسلامية

---

[43]مرجونة وآخرون. **رحلة المغول من الإستكبار إلى الإنصهار**.الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.2010. ص57.
[44]. الخالدي. **مصدر سبق ذكره**. ص26-27.
[45] الهمذاني، رشيد الدين.**جامع التواريخ**.عربه: فؤاد الصياد. مج1. ط1. بيروت: دار النهضة العربية. 1983. ص73.
[46].حطيط. **مصدر سبق ذكره**. ص16.
[47].رنسيمان. **مصدر سبق ذكره**. ص411.
[48]. **الكرايث: هو شعب ينتمي إلى أصل تركي، إنظر: حطيط. مصدر سبق ذكره. ص26.**
[49].رنسيمان. **مصدر سبق ذكره**. ص412.

في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وينتمي السلاجقة إلى قبيلة الغز، وقد أقاموا إمبراطورية امتدت من تركستان حتى حدود مصر[50].

أما قبيلة الأتراك القراخطائيون فكانت لهم دولة كبيرة، قبيل الغزو المغولي، وتقع بين الدولة الخوارزمية في الغرب، ومواطن المغول ونهر سيحون الذي يعد بمثابة الحد الفاصل بين دولتهم وأقاليم الدولة الخوارزمية[51]، وعاصرت هذه القبائل إمبراطوريات كبيرة تمثلت بإمبراطورية سونج الوطنية، ومملكة الكين في الصين الشمالية، ومملكة تانفون في شمال غربي الصين، والخلافة العباسية في بغداد ودولة الأيوبيين في مصر والشام، والسلاجقة في آسيا الصغرى[52].

ويتألف الأتراك القراخطائيون من المغول والتانجون وعاشوا في صراع مستمر بحيث كانت تقضي كل قبيلة على الأخرى مستغلة ضعفها وتفككها[53]. أما الخوارزميون فكانوا يقيمون في دولة تشمل كل منطقة ما وراء النهر وإيران وهم من أصل تركي، ويدينون بالإسلام، وكانت لغتهم خليطاً من العربية والفارسية.

وظهرت أيضا قبيلة القارلوق وأصبح لها أهمية سنة 149هـ / 766م، حينما احتلت وادي نهر "جو" بعد سقوط إمبراطورية الترك الغربيين خاقان، ولم يتخذ أمراؤهم لقب خاقان، وإنما اكتفوا باتخاذ لقب يبغوا أي الأمير[54].

ويقول ابن حوقل أن بلادهم كانت تمتد من فرغانة[55]، مسافة يجتازها المسافر في ثلاثين يوماً، وتأثروا بالحضارة الفارسية، لقربهم من البلاد الإسلامية، ولم يلبثوا أن اشتغلوا بالزراعة، وجرت إشارة إليهم لآخر مرة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[56].

والجنس الآخر من الأتراك يعيش في بقية بلدان آسيا غرب بلاد الدولة الخوارزمية وهي مقسمة بين طائفتين الإسماعيلية في ألموت وكانت ثقافتهم عربية، وبين سلاطين الأيوبيين

---

[50] الخالدي. **مصدر سبق ذكره**.ص24.

[51].إقبال .**مصدر سبق ذكره**. ص49 ؛ الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص22.

[52]. حطيط. **مصدر سبق ذكره**. ص16.

[53]. الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص22_ 23.

[54]. العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص31.

[55] قرغانة: بينها وبين سمرقند خمسون فرسخ وهي متاخمة لبلاد الترك، انظر: ابن حوقل.**صورة الارض**. ص440.

[56]. الخالدي. **مصدر سق ذكره**. ص24.

وهم من أصل كردي وذوي ثقافة عربية أيضا، وكان التونفوز وجميعهم من الجنس الآلتائي بالرغم من وجود إختلاف في لغات هذه القبائل إلا أن غالبيتهم من البدو الذين يقطنون الأقاليم العليا من آسيا[57].

إن بيئة الأقاليم الشرقية من آسيا قد فرضت على قبائل الأتراك والمغول العيش ضمن عيشة بدوية يشوبها النزاع والصراع مع عدم إيمانهم بدين أو شريعة، وقد أجبرتهم هذه الحياة القاسية مع كثرة الهجرة والانتقال من مكان إلى مكان جرياً وراء المراعي والأعشاب حيث يطيب لهم العيش وتتوفر لهم موارد الرزق، وقامت حياة القبائل التركية المغولية على الإغارة على الممالك المتمدنة في الصين وما وراء النهر وإيران، ورغم الضربات الشديدة التي كان ينزلها حكام هذه الممالك بهؤلاء المتبربرون من وقت لآخر، فإنهم كانوا لا يكفون عن الإغارة عليها وإنزال كثير من المحن بها، ولعل هذه الغارات هي السبب في إقامة سور الصين العظيم، الذي شيده أهل الجنوب في العصور الأولى من التاريخ أي قبل الميلاد بنحو قرنين ونصف لمنع اعتداءات القبائل المتبربرة في الأقاليم الشمالية الشرقية من آسيا[58].

وقد شبه البعض المغول والترك بعرب الجاهلية والهنود الحمر من حيث قضاء معظم أوقاتهم في نزاعات مستمرة[59]، إلى أن جاء جنكيزخان ووحدهم تحت راية بيضاء ذات

---

[57]. العريني. مصدر سبق ذكره. ص31-32.
[58]. الهمذاني. مصدر سبق ذكره. ص74.
[59] Howorth. **History of the Mongols** .p130.

60.إبن الأثير. مصدر سبق ذكره.ج12. ص43.

تسعة رؤوس،التي يشير كل رأس فيها إلى قبيلة من القبائل التركية والمغولية، وبذلك أصبحت تلك الراية ممثلاً للروح الحامية للأمة المغولية.

والعلاقة بين المغول والأتراك نلاحظها في وصف ابن الأثير لهم عندما أشار إلى" أن المغول قاموا بحملة ضد بلاد الاسلام، وذكر أنهم من الجنس التركي ويقيمون في جبال طمغاج في الصين"[60].

هذه الحادثة التي ذكرها إبن الأثير توضح العلاقة بين الترك والمغول التي كان يشوبها الكثير من العداء وعدم الاستقرار بينهما إذ كانتا تبحثان عن الاستقرار والسيطرة على أكبر مساحة ممكنة والحصول على ثروات تمكنها من الصمود والبقاء أمام الأعداء استناداً لمقولة (البقاء للأقوى)، على الرغم من أن الترك يتشاركون مع المغول في النسب والحسب وهم أبناء عمومة واحدة، كما ذكر بروكلمان :" كانوا جيران الأتراك الشرقيين، وهم قبائل يربطها بالمغول نسب قديم، وقد احتفظوا ببعض خصائص الجنس المغولي"[61].

ويذكر مؤرخ المغول رشيد فضل الله الهمداني "أن هناك تشابه بين المغول والأتراك فقد أطلق عليهم لقب واحد، و المغول نوع من الأتراك وبينهم تفاوت وإختلاف شاسع"[62].

وقبائل الترك يسمون التتار ولهذا اشتهر الإقليم الذي هو مهد ظهور هؤلاء القبائل التي يطلق عليها إسم تركستان وتارستان ويحدها شرقا مملكة الصين وجنوبا الهند والفرس والروم .

وقد ارتكز المجتمع المغولي في الأساس على القبيلة التي يرأسها الخان أو زعيم القبيلة وهو ينحدر في الغالب من نخبة أرستقراطية ويتم اختياره عن طريق اجتماع ومشاورات تعقد دون الحاجة إلى التعيين أو الوراثة كما هو دارج[63].

---

[61]. بروكلمان. **مصدر سبق ذكره.** ص381.
[62]. الهمذاني. **مصدر سبق ذكره.** ص212.
[63]. جورج لاين. **مصدر سبق ذكره.**ص56.

ثالثا: النظم المغولية:

كان المجتمع المغولي عبارة عن قبائل متناحرة تتنقل من مكان إلى آخر سعيا وراء رزقها،إلى أن جاء جنكيز خان ووحد تلك القبائل وجعلها تحت إمرته. وكان المجتمع المغولي مقسماً إلى ثلاث طبقات : طبقة النبلاء وكانوا يلقبون بالألقاب "بهادر"، أي الباسل"وتوبان" أي النبيل و" ستسن" أي الحكيم. والطبقة الثانية هي طبقة " النوكور" أي الأحرار الذين إرتكز عليهم النظام العسكري والسياسي في منغوليا في عهد جنكيزخان. وكانوا يؤلفون طبقة المحاربين والموالين له. والطبقة الثالثة هي طبقة العامة وطبقة الأرقاء وكان لكل جماعة أو عشيرة من المغول رئيس، قد يكون خانا أو قانا. واشتهر بهذا اللقب رؤساء قبائل الغابة أمثال أويران ومركيت [64].

وكانت بعض القبائل الصغيرة تخضع أحياناً لإحدى القبائل الكبيرة على عادة القبائل البدوية في كل مكان، وذلك لعجزها عن الدفاع عن نفسها كما حدث لقبيلة "الجلائر" في علاقاتها مع أجداد جنكيز خان، وما جرى أيضاً لقبيلتي القنقران، والأويرات حينما خضعتا لجنكيز خان.

لقد أثرت البيئة التي عاشت فيها تلك القبائل تأثيراً كبيراً على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فمناخها المتقلب والسعي وراء الأعشاب لرعي الماشية والأغنام فرضت عليهم مع مرور الزمن نمطاً معيناً من الحياة[65].

وكان من عادة القبائل الصغيرة موالاة القبائل الكبيرة حتى تكفل تلك القبيلة الحماية لنفسها، خاصة عندما تكون عاجزة عن الدفاع وصد الهجوم عليها، كما جرى مع قبيلة الجلائر في علاقاتها مع أجداد جنكيزخان.

---

[64] الخالدي. **مصدر سبق ذكره.** ص**31**؛ الصاوى. **جنكيزخان فاتح العالم.**ط1. القاهرة: مكتبة النافذة. 2012م.ص9.

[65] الخالدي. **مصدر سبق ذكره.** ص31.

وقد عاش الترك المغول الذين أقاموا في منطقة الغابات، حول بحيرة "بايكال" ونهر عامور، عيشة المتبربرين ، ويعتمدون على صيد الحيوانات في الغابات، وعلى صيد السمك في الأنهار والبحيرات[66]، وأما الذين كانوا يعيشون في الإستبس فقد عاشوا على تربية الخيل والماشية والأغنام، يلتمسون العشب، ويسير الرجل في أثر قطعانه وتوزيع المراعي والمياه، وهذا حدد مجال تحركهم في فصول السنة وكثيراً ما كانت تحركاتهم نحو المراعي سبباً في المنازعات والغارات والسلب والنهب وما كان يمارسه الرعاة من التدريب المستمر على ركوب الخيل والسعي لاكتشاف المراعي والمياه، واستخدام الأسلحة، ولهذا اتصفوا بقوة الإحتمال، ومعاناة الجهد والتعب، والشجاعة والميل إلى الحركة، وحب المخاطر، واتساع الأفق، وحب التسلط، كل ذلك جعل من رجال هذه القبائل جنوداً بارعين وجيشاً جاهزاً في كل لحظة[67].

وجدير بنا أن نذكر أنه عندما أسس جنكيز خان إمبراطوريته المغولية إستطاع توحيد هذه القبائل تحت حكمه، ونظم لهم نوعا من الحياة الاجتماعية مستفيدا من التجارب التي عاشها، أحدث إصلاحا جوهريا في البنية الاجتماعية فلم يقضِ على الهويات بشكل جذري ونهائي، وإنما بقيت تلك القبائل مثل الأونغوت، والكونغاريت، والتي أبقت ولاءها للإمبراطورية المغولية أثناء توحيد الإمبراطورية واحتفظت ببعض وحدتها والحفاظ على هويتها، في حين أن التتار والمركيت والكرايت والنايمان وغيرها من القبائل المعادية السابقة التي كانت تغير على المغول وتهددهم حتى جرى تفكيكها بالقوة[68]، ولم يحصل اهتزاز في الولاء والطاعة للحاكم طالما دامت الثروة والازدهار متوافرين.

ومن الناحية الاقتصادية فقد اعتمد المغول على صيد الحيوانات ورعي الماشية والأغنام، وقطع الطريق من أجل الحصول على مصدر رزقهم وثرواتهم، ولكن عندما توحدوا تحت ظل عرش امبراطورية واحدة جمعتهم ووفرت لهم مصدراً للرزق والثروة.

---

[66]. العريني. **مصدر سبق ذكره.** ص25.
[67]. مرجونة والعبادي. **مصدر سبق ذكره.** ص58.
[68].جورج لاين. **مصدر سبق ذكره.** ص153.

ولم يحاول المغول في بداية حياتهم زراعة السهول الخصبة التي كانت تسكنها بعض قبائلهم، بل كانوا يهاجرون في فصل الصيف إلى الجبال، فإذا انعدم فيها العشب رحلوا عنها، وإذا احتبست الأمطار أو تعرضت المراعي للآفات وقلة الأعشاب وجد الراعي نفسه أمام خطر فقدان ماشيته، وهي مصدر رزقه[69].

ولهذا كان يندفع إلى السرقة والسلب والنهب ممن يجاورونه، ومن هنا كانت حياتهم تقوم على الحروب والغارات والاعتداءات المتكررة للحصول على لقمة العيش لهم ولماشيتهم .

أما من الناحية العسكرية فقد تم تنظيم الجيش بشكل يضمن حماية الإمبراطورية المغولية من الهجمات الخارجية وحتى يتسنى لتلك الدولة القائمة التوسع على حساب جيرانها، على اعتبار أن الجيش هو العمود الفقري للحكم المغولي ولكي يكون الإنسان مغولياً يجب أن يكون محاربا ففيوقت الحرب يجب أن يتحول الجنود إلى وحوش مدربة على الهجوم والدفاع، وفي وقت يغدون مسالمين فهو جيش مستعد لتقديم التضحيات من دون شكوى مهما كلفه الأمر حيث إذا سمع نداء الحرب امتطى زيه وتقلد فرسه وحمل الرماح والسهام وذهب للحرب وهو مستعد لها مسبقا [70].

ورتب الجيش بحسب ما جاء في الياسا، دونها له الأويغوربخطهم وهي مزيج من القوانين الموضوعة بإرادة الخان المغولي وتسجل العادات القبليةفتم حصر الجند ومعرفة مواقعهم وذلك بتسجيل أسمائهم في دفاتر منظمة ولكل فرقة من الجيش كشافة تقوم بنقل الأخبار والأموال مع أسلحة محددة خاصة بها[71]، وبذلك أصبح الجيش العمود الفقري والمؤسسة الرئيسة لدى الإمبراطورية المغولية التي سيحققون بواسطتها جميع أهدافهم التوسعية، مما يفسر نجاح الجيش المغولي في تحقيق انتصارات عديدة دون هزائم[72].

---

[69]. الجويني. مصدر سبق ذكره. ص62؛ الصاوي. مصدر سبق ذكره. ص8 -9.

[70].جورج لاين. مصدر سبق ذكره. ص152.

[71]. الفقي. مصدر سبق ذكره. ص170- 171.

[72]جورج لاين. مصدر سبق ذكره. ص152.

اعتمدت الاستراتيجية العسكرية عند المغول على الدقة والنظام فكانوا يبدأون خطتهم العسكرية بإرسال فرق الكشافة والجواسيس لاستطلاع الأخبار عن أصول الدولة المراد الاستيلاء عليها و يعتمدون في هجومهم على السرعة والمهارة، وهذه طباع طبعتهم عليها الصحراء والجبال بجانب ما تعلموه من الصين حول كيفية حصار المدن، ويسبق الهجوم بإرسال الرسل إلى ملك البلد المراد الاستيلاء عليها ليسلم البلاد طواعية أو يناله غضبهم، وقد إستخدم المغول تكتيك تطويق العدو بالتقهقر حتى يمر في سلام ثم الانقضاض عليه من الخلف والتمويه بالانسحاب حتى يطمئن العدو ثم يرجع بسرعة فائقة وخاطفة من حيث لا يدري[73] .

وتم تقسيم الجيش المغولي بناء على تقليد قديم إلى وحدات على أساس النظام العشري فقسم الفرق العسكرية إلى مجموعات تبدأ بعشرةثم مئة ، ثم ألف، و عشرة آلاف وكان يقوم على رأس كل تسعة رجال منهم عاشرهم وهو عريفهم، ويعين على عشرة عرفاء واحد من بينهم كرئيس أعلى على مئة ثم يتم اختيار واحداً من بين الرؤساء العشرة للفصائل المئات ليكون قائدا لهم وبذلك يصبح الأخير قائدا عاما ويسمى تويان أي أنه قائد التومان ورتبت هذه الوحدات على شكل جماعات وزعت إلى ميمنة وميسرة، وتم تفكيك الوحدات القبلية، ومكافأة من كانوا موالين له خلال سنوات صعوده إلى الحكم، بمنحهم مواقع قيادية[74].

أما المعتقدات الدينية لهذه القبائل فتراوحت ما بين الوثنية والأديان السماوية وبخاصة المسيحية والإسلام.

هذا بالإضافة إلى اعتناق بعض القبائل المغولية الديانة البوذية والمانوية كقبيلة الأيغور، وقد أطلق اسم المانوية على أتباع ماني الذي ادعى النبوة ومن تعاليمه القول بالنور والبراءة من الظلمة[75].

---

74 جورج لاين. **مصدر سبق ذكره**. ص152.

[75]. الجويني. **مصدر سبق ذكره**. ص71؛ كريمونا. **مصدر سبق ذكره**. ص474- 475.

أما الديانة الأبرز عندهم فهي الشامانية، وتشير المصادر إلى أنها أقدم الديانات عندهم، وقد انتشرت في دول عديدة من العالم، خاصة في دول آسيا الوسطى والشمالية وقد تأثرت بمذاهب آسيوية كبرى أمثال ما كان في بلاد الرافدين، وكذلك ما لدى البوذية دون أن تفقد بنيتها الخاصة[76]، وتعد مروج هولونبوير(شمال شرقي الصين) المنبع الرئيسي للثقافة الشامانية القديمة في العالم.

وتقوم على عقيدة تهتم بمسألة التوازن بين قوى الإنسان الذاتية الداخلية والقوى الخارجية الروحية المحيطة به، أن ضعف النفس البشرية الناتج من عدم الاهتمام الكافي بتربيتها وتنميتها يساعد الأرواح والشياطين على الدخول إلى شخصية الفرد والتحكم بمشاعره وأحاسيسه، وقد يبلغ الأمر مرحلة خطيرة هي مرحلة اللبوس(اللمس)، فينطق الإنسان بلسانه حال الشياطين ويعبر عنها، ولذلك فإن وجود الشامان ضروري لعلاج جميع مظاهر الشرور، بالإعتماد على تنشيط القوى الذاتية لتحقيق التوازن مع القوى الكونية الشاملة[77].

ويصبح المرء شامانا إما بإلهام عفوي(الدعوة أو الاختيار) أو بانتقال إرثي للصفة الشامانية، أو بقرار شخصي أو بإرادة القبيلة كما في بعض الحالات النادرة، ولا يعترف بالشامان إلا بعد تلقيه تعليما مزدوجا من نظام وجدي(أحلام، رؤى، ارتعاشات) ومن نظام تقليدي(صياغات شامانية، أسماء، وظائف الأرواح،أشكال وأسماء الآلهة، وعلم أنساب القبيلة)[78]، وقد أطلق على حكماء الصين تسمية شامانيون لقدراتهم العالية في مجال المعرفة[79]، ويبدو أن ذلك مرده إلى أن هذه العقيدة أي الشامانية تعتمد إلى حد كبير على الحكمة والمعرفة في عقائدها وعباداتها.

ومن الناحية السياسية فقد اقتضت حياة المغول بالرغم من بدائيتها وبساطتها أن تكون لهم مجموعة منالقوانين والشرائع تحكم القبائل الرعوية المنتشرة في صحراء جوبى، وكون منها مصنفاً قانونياً صارماًليشمل دستور الإمبراطورية التي كان يهدف جنكيز خان إلى

---

[76] بارند، جفري.**المعتقدات الدينية لدى الشعوب**. ترجمة:أمام عبد الفتاح. القاهرة:مكتبة مدبولي. 1996. ص28.
[77].الياد، ميرسا.**تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**. ترجمة:عبدالهادي .دمشق: دار دمشق. ج3. 1986. ص12
[78]. الياد. **مصدر سبق ذكره**. ص13.
[79] الجابري،علي.**الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان**.بغداد:دار آفاق. 1985. ص144.

إنشائها لتسود العالم آنذاك[80]، وتميزت القوانين التي وضعها بطابع القسوة والصرامة في مضمونها وتنفيذها، لذلك كان جميع أفراد المجتمع المغولي من الخان إلى الطفل يحترم هذه القوانين خشية الوقوع في العذاب[81].

وقد نظم جنكيزخان بعد أن إستفاد من التجارب التي عاشها والشدائد التي عاناها وما قام به من حروب وغزوات أحكام أو دستور عرف بـ (الياسا)، و كان المغول يرجعون إليها حينما يجلس خان جديد للعرش، وفي حالة تعبئة الجيوش والاستعداد للقتال[82]، ذلك لأنه كان حريصاً على جمع كلمة القبائل الخاضعة له، وكبح جماحها، وإلزامها بالنزول على حكمه فاشتمل هذا القانون على عقوبات بالغة الصرامة، للقضاء على أسباب الفوضى، وإعادة الأمن إلى نصابه، وتحدد في هذا القانون العلاقة بين الحاكم والمحكومين، وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض، وعلاقة الفرد بالمجتمع، وقد نجح جنكيز خانفي هذا الغرض واستطاع أن يحول جموع المغول إلى جيوش منظمة، تسير وفقاً لخطط حربية مرسومة [83].

ويحتوي الياسا كما ذكر الجويني والمقريزي بعض المبادئ التي منها: أنه من زنى قتل محصناً وغير محصن وكذلك من لاط قتل ومن تعمد القتل قتل، ومن سحر قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيراً أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل وإن ناوله من يده إلى يده، ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولاً.

وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى، وجعل ذلك كله قربة إلى الله تعالى، وأن من مر بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير إذنهم وليس لأحد منعه، ومنع أن يقال لشيء أنه نجس، وقال: جميع الأشياء طاهرة، ولم يفرق بين طاهر ونجس[84].

---

[80] .مرجونة والعبادي. **مصدر سبق ذكره**.ص70..

[81] المقريزي، تقي الدين.**المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**.ج2.القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.(د.ت). ص24.

[82] الجويني. **مصدر سبق ذكره**. ص65.

[83] الصاوى. **مصدر سبق ذكره**. ص34.

[84] المقريزي **الخطط**. ص46- 47 ؛ الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص342.

وألزمهم أن لا يتعصبوا لشيء من المذاهب، ومنعهم من تفخيم الألفاظ ووضع الألقاب، وإنما يخاطب السلطان ومن دونه، ويدعى باسمه فقط، وألزم القائم بعده بعرض العساكر وأسلحتها إذا أرادوا الخروج إلى القتال وأنه يعرض كل ما سافر به عسكره وينظر الإبرة والخيط فمن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج إليه عند عرضه إياه عاقبه، وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من الكلف في مدة غيبتهم في القتال، وألزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الأبكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده.

ورتب لعساكره أمراء، وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مائتين وأمراء عشروات، وألزمهم ألا يتردد الأمراء لغير الملك فمن تردد منهم لغير الملك قتل، ومن غير موضعه الذي يرسم له بغير إذن قتل وألزم السلطان بإقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته وجعل حكم الياسا لولده جغتاي بن جنكيز خان فلما مات التزم من بعده أولاده وأتباعه بحكم الياسا"[85].

وقد كتب المؤرخ الفارسي عطا الملك الجويني 681هـ /1282م عن " الياسا"، قبل المقريزي 845هـ / 1441م، بما يزيد عن قرن ونصف، بتفصيل أكثر عن ناحية هامة لها أكبر الأثر في حياة المغول العسكرية وهي مباريات الصيد[86]، التي كانوا يعتنون بها عناية كبيرة كلما فرغوا من القتال، إذ كانت في الحقيقة هي رياضتهم المحببة إلى نفوسهم، وكانوا يعتمدون عليها في طعامهم، واتخذوها وسيلة لإعداد أنفسهم إذا ما جد الجد ودعوا لحمل السلاح وخوض غمار المعارك فهم بذلك يدربون أنفسهم على ما سيفعلونه في وقت الحرب، بحيث كانوا يقفون صفوفاً منتظمة كما يقفون في ميادين القتال تماماً ويأخذون منهم الآلات والأسلحة اللازمة للتدريب على استعمالها، وهم بالإضافة إلى هذا مكلفون بمتابعة أخبار الأعداء والتجسس عليهم[87].

---

[85]. المقريزي. **الخطط**. ص47.

[86]المقريزي. **الخطط**.ص47؛ الجويني. **تاريخ فاتح العالم**. ص67-68؛ الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص342.

[87]. الجويني. **تاريخ فاتح العالم**. ص68.

وكان للمغول نظم وقواعد يلتزمونها أثناء الصيد، ويقومون بتنفيذها بكل دقة[88]، فيشرف على ميادين الصيد كبار الأمراء الذين يصطحبون معهم الخوانين (إبنه أو بنته) والسراري ويتزودون بمختلف المأكولات والمشروبات، وتمتد هذه المباريات من شهر إلى ثلاثة أشهر وعلى الجنود المشتركين فيها أن يباشروا الصيد في تأن وحذر وأن ينظروا إلى الحيوانات كما ينظرون إلى أعدائهم، فلو فرض وأن جندياً قد أخطأ في إصابة الهدف فإنه يعاقب على ذلك بالضرب بالعصا، وكثيراً ما يكون العقاب بالقتل، بل إنهم كانوا لا يترددون عن توقيع الجزاء على أي شخص ينسب إليه الإهمال والخطأ مهما كان هذا الخطأ بسيطاً تافهاً، بعد ذلك توفد الرسل إلى الخان وهي تحمل إليه تقارير مفصلة عن كل ما دار في هذه المباريات التي تشبه إلى حد كبير مناورات الجيوش في العصور الحديثة، وذلك للإبقاء على تدريب الجند[89]، وكانوا إذا ما قتلوا عدداً كبيراً من حيوانات الصيد، أكلوا أكبر قدر من لحمها يمكنهم أكله، وذلك حتى يبعدوا عنهم شبح الجوع في الأيام العجاف التي تنتظرهم[90]، فهم يعتبرون الصيد جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، ويحرصون على ممارسته منذ الصغر.

ويروى أن جنكيزخان سقط ذات يوم من فوق جواده، وأصيب حين كان يصطاد خنزيراً برياً وشاء حسن حظه ألا يهاجمه الخنزير وهو ملقى على الأرض، إذ كان قد انتحى جانباً فقال له الكاهن:" كان ذلك نذيراً لك، لقد فعلت شراً برغبتك في قتل روح حيّ ولولا رحمة السماء لنطحك الخنزير وقضى عليك، فرد جنكيز خان عليه قائلاً: لقد أدركت ذلك شخصياً، وأعلم أن نصيحتك تستهدف الخير ولكنا نحن المغول قد اعتدنا منذ حداثتنا أعمال الصيد وليس من السهل علينا أن نغير عاداتنا"[91].

---

[88] الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص344.

[89] الجويني.**تاريخ فاتح العالم**. ص69.

[90] الجويني. **مصدر سبق ذكره**. ص69؛ الصاوى. **مصدر سبق ذكره**. ص112.

[91] الصياد. **مصدر سبق ذكره**. ص343؛ الصاوي. **مصدر سبق ذكره**. ص112.

رابعا: جنكيزخان:

هو تموجين بن يسوكاي بهادر بن برنان بن قبل بن تومنه بن باي بن قوا، ووالدته أولون إبكه من قبيلةالمركيت[92]، ولد جنكيزخان على نهر"أوتون" سنة 550هـ /1155م ، وفقاً لروايات كثير من المؤرخين[93].

لعب جنكيزخان دورا أشبه ما يكون بدور الأنبياء بين المغول لما كان يمتلكه من صفات وخصائص، وهو بالفعل قد وضع في عداد الآلهة عند المغول نظراً لأن معتقدات المغول الشامانية لا تقبل بوجود الأنبياء.وكان أبوه يسوكاي غائباً وقت ولادته، إذ كان يقاتل التتار الذين كانوا يغيرون على قبيلتهم، وبعد عودة يسوكاي مظفراً إلى منزله، لقى مفاجأة سعيدة بأن زوجته، أولون، أنجبت له ابناً، وحينما شاهد طفله، لحظ بأن بداخل قبضة يده قطعة من الدم المتجمد، كأنها حجر أحمر، فتراءى للزعيم المغولي الذي يؤمن بالأساطير أن هذا الحدث سببه انتصاره على زعيم التتار، ولذا أطلق على ابنه اسم هذا الزعيم تخليداً لانتصاره، ولما بلغ تيموجين التاسعة من عمره صحبه أبوه يسوكاي لزيارة أخواله فالتقى أثناء الرحلة بأحد زعماء المغول القنقراد، فتنبأ لتيموجين بمستقبل باهر، وحرص على أن يزوجه من ابنته، بورتة، التي لم تتجاوزوقت ذاك العاشرة من عمرها[94]، ولم يلبث يسوكاي أن مات أثناء عودته إلى دياره سنة 570هـ/1174م[95]، بعد أن دس التتار له السم.

وبعد وفاة يسوكاي تولى تموجين الزعامة، بالرغم من صغر سنه، بمساعدة والدته وأقربائه[96]، أخذ يجمع تحت سلطانه عدداً من القبائل الموالية، علما أنه ينتمي لقبيلة القيات ويتولى زعامتها، وكان أجداد جنكيزخان سادة لهذه القبيلة ورؤساء عليها من قبل[97]، ولم

[92] الجويني. **مصدر سبق ذكره**. ص74.
[93]الكتبي، محمد بن شاكر.**فوات الوفيات**. .ط1.تحقيق:إحسان عباس.بيروت:دار الثقافة. 1973.ص301.

[94]. الجويني. **مصدر سبق ذكره**.ص74.
[95]. العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص44.
[96] بولو. **رحلات ماركو بولو**.ج1.ط2. ترجمة:عبد العزيز جاويد.القاهرة: الهيئة المصرية.1995. ص133.
[97] الجويني. **مصدر سبق ذكره**. ص75.

تلبث أحقاد خصومه بسبب ما أحرزه من انتصارات إلى أن انطلقت بعد وفاته، وكان من أشد القبائل عداوة وضراوة قبيلة التايجوت، التي أنكرت على تيموجين الزعامة[98].

كان لزاماً على زوجة يسوكاي أن تبذل كل ما تستطيع من جهد لتحصل على الزاد الضروري لأفراد أسرتها فصارت تسعى جاهدة لتوفر لقمة العيش لهم، ولم يطرق اليأس إلى قلوب أفراد هذه الأسرة وأكبرهم مازال حدثاً صغير السن، ومع ذلك فقد احتفظوا بما اشتهرت به قبيلتهم من الحماس والنشاط والصبر على تحمل المتاعب، فأخذ الصبيان يمارسون الصيد على نهر أنون لتوفير ما يلزم لإعاشتهم[99].

وبقيت قبيلة التايجوت تغير على تموجين وأمه وإخوته، وتحرص على إذلالهم، مما جعلهم ينتقلون إلى جبل كنتاي، الذي كان له من القداسة عندهم، ما حمل تيموجين على الاعتقاد بأنه هو الذي حماه وعصمه من الأعداء[100]، وعاش تموجين وعائلته عيشة البؤساء، فكل ما كانوا يملكونه لم يتجاوز تسعة خيول، وقع منها ثمانٍ في أيدي المغيرين دفعة واحدة[101].

وبعدها انتقل وزوجته وسائر أفراد أسرته إلى منبع نهر كيرولين، وارتفع شأنه، بعد أن نجا من مؤامرات التايجوت وأضحى الرجل القوي الذي تنشده سائر القبائل، فصار في مقدوره أن يشترك في الأحوال السياسية ليكون من البارزين من رجال المغول الذين يتنازعون السيطرة على شرق منغوليا واشتهر به تيموجين بروح عملية أثارت فيه الميل إلى السلطان، وحملته على أن يفكر في الإفادة من مركزه القوي، كأن يعقد معاهدات واتفاقيات خارج قبيلته، حتى صار من أقوى ملوك الإستبس[102].

---

[98] الجويني. **مصدر سبق ذكره.** ص75

[99] لامب، هارولد. **جنكيزخان وجحافل المغول.** ترجمة: متري أمين. القاهرة: الإنجلو المصرية. 1963م. ص10

[100] أسد الله، صفا. **جنكيزخان (الوحشي النابغة)**.ج1. ط1. بيروت: دار النفائس. 1988م. ص40 –41.

[101] .بولو.**مصدر سبق ذكره**.ص133.

[102] . إقبال. **مصدر سبق ذكره.** ص48.

وحرص تيموجين على أن يقيم علاقة حميمة مع طغرل بن أرسلان، وبذل له يمين الولاء بأن يكون من أتباعه، وارتاح طغرل لهذه التبعية، ووعد بأن يساعده وأن يجتمع تحت زعامة تيموجين من جديد، سائر رجال العشيرة الذين هجروا منزله أثناء حداثة سنه[103].

وبعدها أخذت أحوال تيموجين تستقر، وسعى الناس من القبائل المختلفة لكسب صداقته، فصار جيلمي، الذي تقدم به أبوه لأن يكون خادماً له، من أخلص الرفاق وبفضل نصائح طغرل ملك الكرايت، والذي دان له تيموجين بالتبعية، انحاز إليه زعيم مغولي آخر، اسمه جاموكا، رئيس قبيلة جاجيرات، فقام بينهما من المحبة والود ما جعل منهما أخوين،غير أن النزاع لم يلبث أن دب بينهما، فانفرط عقد التحالف بينهما و ازداد انحياز القبائل والعشائر إلى جانبه، ومن الذين انحازوا إليه، أربعة أمراء من المغول يجري في عروقهم الدم الملكي بعد أن انفصلوا عن جاموكا[104].

وقد اجتمع الأمراء الأربعة وتشاوروا بينهم، واستقر أمرهم باعتبارهم يمثلون أقدم الأسرات الملكية، وأعرقهم نسباً، على أن يختاروا تيموجين خانا على المغول، والمعروف أن تيموجين ينتمي إلى هذه الأسرة[105].

وتمثل الولاء والإخلاص بين تيموجين وبين هؤلاء الأمراء فيما روي من أنهم خاطبوه " لقد قررنا بأن ننادي بك خاناً، وسوف نكون في المقدمة عند خوض المعارك ضد عدد لا حصر له من الأعداء، فما نسبيه من النساء الجميلات، والفتيات الحسناوات، وما يقع في أيدينا من الجياد الأصيلة، سوف نبذله لك وما نحصل عليه من الصيد، سوف نجعله لك فإذا حدث أن عصينا أوامرك أثناء الحرب أو برمنا بك أثناء السلم، فلتفرق بيننا وبين زوجاتنا وتنتزع منا متاعنا، ولتهجرنا ولتجعلنا منبوذين"[106].

---

[103]. لامب. مصدر سبق ذكره. ص12.
[104]. العريني. مصدر سبق ذكره. ص46؛ الصياد. مصدر سبق ذكره. ص32.
[105] إقبال. مصدر سبق ذكره. ص49.
[106]. بولو. مصدر سبق ذكره. ص136.

وقد التزم الأمراء الأربعة بهذا القرار واختاروا تيموجين خانا وأطلقوا عليه اسم جنكيزخان وكان الغرض من ذلك وقف ما حدث من تشتت العشائر،والقبائل المغولية وإعادة السيادة إلى أسرة قيات، وترقب الفرصة المواتية للانتقام من التتار، فاختار أقاربه وبنو عمومته، لما لمسوه فيه من أنه زعيم في الحرب والصيد، وما اشتهر به الخان الجديد من العبقرية في التنظيم والشدة في التزام النظام يعتبر من أهم صفاته[107].

وكانت الأخلاق القيادية بارزة في جنكيز خان، كالمكر، والدهاء وسعة الحيلة، والكرم والجود والوفاء لأصدقائه المخلصين وممارسة الشورى مع من حوله من القادة المعاونين[108].

وحرص جنكيز خان على أن يوزع بين أنصاره الموالين له الوظائف الأساسية الحربية والمدنية فجعل من أقرب الناس إليه، وأشهرهم في الرماية حرساً خاصاً له، وخص آخرين بأمر توفير المؤن والسقاية وإعداد العربات، والتماس المراعي، والإشراف على الخدام، ورياضة الخيل، ونقل الأوامر الملكية والمحافظة على النظام عند انعقاد مجلس أعيان القبيلة (قوريلتاي)[109].

وقام جنيكز خان بإرسال الرسل إلى رؤساء القبائل القوية المجاورة، يخبرهم بأنه قد نُصِّب أميراًعلى القبائل التي قبلت به وكان أول من راسلهم طغرل خان صديق والده بالأخوة، وكان جوابه الموافقة والتأييد، وزادت قوة جنكيزخان، وأخذ خصومه ينصبون له العداء حسداً له، فقرر جنكيز خان أن يستخدم أسلوب القتال معهم، فعندما ينتقل بعشيرته من مراعيها الصيفية إلى مراعيها الشتوية يتخذ تشكيل القتال، فيُقسّم قوته إلى أقسام أربعة: المقدمة، المجنبة، والمؤخرة، وفي وسطهم تسير الماشية وعربات العائلات[110].

---

[107]. العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص49؛ لامب. **مصدر سبق ذكره**. ص13.

[108]. الصاوي. **مصدر سبق ذكره**. ص90- 91.

[109]. الصياد. **مصدر سبق ذكره**.ص33؛ العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص49.

[110]مين، محمد فتحي. **الغزو المغولي لديار الإسلام**. بيروت: لبنان. 1988م. ص33.

خامسا: استقرار المغول في بلاد الشام زمن الدولة المملوكية الأولى:

شهد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفود عدد من المماليك من عنصر المغول والقفجاق وغيرها من العناصر الأخرى إلى بلاد الشام ومصر أواخر العصر الأيوبي وخلال العصر المملوكي خاصة أثناء فترة دولة المماليك البحرية.

أما عن العوامل والأسباب التي أدت إلى نزوح المغول وهجرتهم إلى مصر منذ عهدالسلطان بيبرس الأول، والعوامل التي دفعت سلاطين المماليك إلى إستقدام مغول القفجاق وتشجيعهم على الوفود إلى مصر بأبنائهم ونسائهم، وتتمثل في الخلاف السياسي الذي حصل بين مغول فارس ومغول القفجاق، والعوامل الخاصة ببيئة هؤلاء المغول في جنوب روسيا بالإضافة إلى عوامل الجذب التي جذبتهم إلى مصر، وأصبحت بالنسبة لهم ملجأ آمن يعولون على ارتياده والإقامة فيه كبديل عن أوطانهم فاستقروا في مصر والشام واختلطوا بطبقات المجتمع المختلفة وظهر منهم السلاطين والأمراء والقادة العسكريين والسياسيين البارزين الذين ساهموا بصورة فعالة في تسيير أمور الحرب، والسياسة الداخلية والخارجية لدولة المماليك[111].

وقد جاءت هذه العناصر على طريقتين:

الأولى: على شكل مماليك رقيق عن طريق الشراء وأطلق عليهم في كثير من الأحيان اسم الجلبان أو الأجلاب منذ العصر الأيوبي وذلك عندما أقبل أبناء الملوك من الأيوبيين على اقتناء عددمن هؤلاء الرقيق لإنشاء الجيوش اللازمة في حروبهم الداخلية أثناء الصراع الأسري بين أبناء البيت الأيوبي ولا سيما الصالح نجم الدين[112]، الذي أكثر من شراء المماليك ومنهم مغول القفجاق بعد أن تبين له فساد الخوارزمية[113].

والطريقة الثانية: على شكل لاجئين بأعداد كبيرة هاجروا إلى دولة المماليك ليجدوا فيها مستقرا ومقاما نتيجة الصراعات بين قبائل المغول المختلفة بعد وفاة جنكيزخان وبين القبائل

---

[111] نوار. **الطوائف المغولية وتأثيراتها العسكرية والسياسية**. الاسكندرية:منشأة المعارف. 1996.ص19.

[112] العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص54.

[113] ابن كثير. **مصدر سبق ذكره**. ج13. ص137.

المغولية بعضهم بعضاً، وبين إيلخانات وقانات المغول في فارس، وبصفة خاصة ما حدث من تطورات واضطرابات داخلية في دولة مغول فارس بعد اعتناق محمود غازان إيلخان مغول فارس الإسلام عام 694هـ/ 1296م، عندما أصبح بقاؤهم في أوطانهم أمرا مستحيلاً[114].

وكان من نتائج التنافس بين دولتي المغول حدوث تقارب بين المماليك في مصر والشام ومغول القفجاق المسلمين وذلك للوقوف في وجه العدو عام 694هـ/ 1296م[115].

وتذكر المصادر بقيام تحالف رسمي بين المغول والمماليك في الحرب ضد هولاكو عام 660هـ/ 1262م، وأن الظاهر بيبرس، أمر بالدعاء لبركة خان زعيم القبيلة الذهبية بعد الدعاء للسلطان المملوكي على المنابرفي الشام ومصر والحرمين.

وحدث صراع بين المغول بعضهم بعضاً نتج عنه فرار ونزوح الكثير من المغول خاصة مغول القفجاق المسلمين بنسائهم وأولادهم إلى بلاد الإسلام مستأمنين وبصفة خاصة إلى مصر المملوكية، ورحب بهم بيبرس وأكرم وفادتهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة[116]، وأشارابن كثير إلى سبب النزاع بين بركة خان وهولاكو "أنه في عام 660هـ /1262م، وقع الخلاف بين هولاكو وبين السلطان بركة خان ابن عمه وأرسل إليه بركة خان يطلب منه نصيبا مما فتحه من البلاد وأخذه من الأموال على ما جرت به عادة ملوكهم فقتل رسله فاشتد غضب بركة خان وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاكو والتقى بركة خان وهولاكو فاقتتلوا فهُزِمَ هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه"[117].

وقد أطلق المؤرخون على هذه العناصر المغولية التي جاءت إلى دولة المماليك لاجئة أو منفية اسم الوافدية والمستأمنة، وأشارت المصادر كذلك إلى قدوم الوافدية هروباً من وجه هولاكو، وعددهم مئتي فارس بنسائهم وأولادهم ومعظمهم من التتار القفجاق، وجاؤوا من عند بركة خان للخدمة في الجيش. واستقبلهم السلطان بيبرس وأنزل كبراءَهم في دور أقامها

---

[114] عاشور، فايد. **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**. القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة. 1989م. ص54.

[115] نوار. **مصدر سبق ذكره**. ص19.

[116] سرور، جمال. **دولة الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عهده**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. 1960م. ص32.

[117] ابن كثير. **مصدر سبق ذكره**. ج13. ص239

وأعطاهم أمريات من فرقته البحرية السلطانية، ثم أفرد لكل منهم جهة إقطاعية يعيش فيها[118].

وقد عاصر القاضي محيي الدين هذه الأحداث ، وذكر وصول وفود وهم جنود فارين من جيش هولاكو، حيث يذكر وصول كتاب الحاج علاء الدين متولي دمشق 660هـ/1262م بأن الكشافة وجدوا جماعة كبيرة من التتار مستأمنين وافدية إلى الباب الشريف لأنهم من أصحاب الملك بركة، فلما وقع بينه وبين هولاكو خلاف أرسل بركة إليهم بأن يحضروا إليه، وإن لم يقدروا على ذلك يذهبوا إلى عسكر الديار المصرية.

يذكر أن العداوة قد استحكمت بينهما وأنهم تجاوزوا مئتي فارس فكتب السلطان إلى النواب في الشام بإكرامهم والإحسان إلى مقدميهم الأربعة وخرج السلطان للقائهم، وعندما بلغ التتار ذلك توافدوا جماعة بعد جماعة والسلطان يعتمد معهم هذا الإحسان[119]. واجتذبت أخبار هذا الإحسان جماعات أخرى إلى مصر فورد البريد سنة 661هـ /1263م، من حلب يشير إلى أن جماعة مستأمنة وردت إلى الباب العزيز عدتها ألف وثلاثمائة فارس من المغل والبهادرية وإستطاعت أن تصل إلى القاهرة[120].

وإزدادت الوافدية على عهد كتبغا 694 - 696هـ /1294م- 1296م، عندما كان الناصر محمد منفيا بالكرك حتي وصل إلى الرحبة في نفس السنة نحو عشرة آلاف بيت من عسكرية طرغاي بن هولاكو وهم المعروفون بالأويراتية، فبالغ كتبغا في إكرامهم وأخذ الكثير من أمراء المماليك أولئك الأويراتية للخدمة في البيوت وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم، وتزوج الناس بناتهم واندمج بعضهم في الجيش المملوكي ودخلوا الإسلام واختلطوا بأهل البلاد[121].

---

[118] الذهبي،شمس الدين. **العبر في خبر من غبر**. ج1. .ط1.تحقيق:محمد السعد..بيروت: دار الكتب العلمية.ص46-47

[119] القاضي عبد الظاهر.**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**. تحقيق:عبد العزيز.الرياض.1396هـ. ص137.

[120] عاشور، عبد الفتاح. **مصروالشام في عهد الأيوبيين والمماليك**.بيروت:النهضة العربية.(د.ت).ص168

[121] سيرتوماس، أرنولد. **الدعوة إلى الإسلام**. ترجمة:حسن إبراهيم.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية.1970م. ص45.

وارتقى هؤلاء بسرعة في وظائف الدولة، حتى أن السلطان كتبغا كان مغولي الأصل، وفي ضوء هذه الظاهرة يمكننا أن نفسر انتشار بعض العادات المغولية في عصر سلاطين المماليك مثل أكل لحوم الخيل في الحفلات والمناسبات وصناعة بعض أنواع الخمور من لبن الخيل[122].

ويذكر الطراونة أن الوافدية الذين جاؤوا إلى بلاد الشام عام695هـ/ 1296م، وسكنوا في قاقون على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ودخلوا في الإسلام[123]. نظرا للمعاملة الحسنة التي لاقوها من أهل تلك البلاد، وانخرطوا في المجتمع الشامي، وذابوا فيه بالتجنيد والمصاهرة[124].

أخذ وفود المغول إلى مصر وبلاد الشام بالتراجع بعد عام 697هـ/ 1298م، وفي عام 705هـ/ 1306م، جاء نحو مئتي فارس وفي سنة 719هـ/ 1319م، عبر جماعة من المغول الفرات، وقدم دمشق منهم مائة فارس بأولادهم ونسائهم وعليهم أمير كبير يدعى طاطاي، وفي سنة 722هـ/ 1322م.

وقدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بدرالدين جنكلي البابا من الشرق وصحبتها جماعة تترية غير أنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام عام 722هـ / 1322م، فاستدعى الناصر محمد بن قلاوون جماعتها إلى القاهرة، وأقطع أفرادها إقطاعات من أجل خاطر الأمير جنكلي[125].

وفي العام741هـ / 1340م، جاءت هجرات أخرى من الوافدية إلى مصر، بسبب ما إنتشر في الشرق من الطاعون فأذن الناصر لنائب حلب أن ينزلهم نيابته، وجاء منهم مئتي فارس إلى مصر[126]، وما نلاحظه هو اختلاف عدد الوافدية الذين قدموا مصر وبلاد الشام بين مصدر وآخر، فهناك مصادر تذكر أن هجرتهم أخذت تضعف بعد عهد بيبرس، فلم يقدم

---

[122] الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. ج3. ط5. بيروت: دار العلم للملايين. 1980م. ص22.

[123] .الطراونة، مبارك محمد. **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصرالمماليك الجراكسة**.عمان:دار جليس الزمان. ص121.

[124] . المقريزي. **السلوك**. ج1. ق2. ص812.

[125] . الذهبي. **مصدر سبق ذكره**. ج4. ص48؛ المقريزي. **السلوك**. ج1. ق2. ص813.

[126] العريني. **مصدر سبق ذكره**. ص63.

إلى مصر منهم سوى تسعة عشر فارساً مع نسائهم وأولادهم زمن السلطان قلاوون 677-689هـ /1279 -1290م، وحوالي ثلاثمائة فارس زمن ابنه الناصر محمد بن قلاوون 708-741هـ / 1309-1341م[127].

وكان السلاطين المؤسسون للدولة المملوكية وعلى رأسهم سيف الدين قطز وبيبرس وقلاوون، من العنصر المغولي، وساروا بدورهم على نفس السياسة في الاعتماد على بني جنسهم من مغول القفجاق أو القبشاق في شمال البحر الأسود الأوزبك، الذين كانوا موضع اهتمام وعناية سلاطين دولة المماليك البحرية الذين كان معظمهم في الأصل من أجلاب بلاد القفجاق من الأتراك، وكان يحكم هذه البلاد الممتدة من تركستان شرقاً إلى شمال البحر الأسود غرباً، دولة مغولية إسلامية حديثة تعرف باسم القبيلة الذهبية، نسبة إلى لون مخيماتها وقد أطلق عليها مملكة توران وكان اسم زعيمها بركة خان وهو أول من اعتنق الإسلام من أولاد جنكيزخان وكانت عاصمته مدينة صراي في شمال غرب بحر قزوين[128].

---

[127] سرور. **مصدر سبق ذكره.** ص36.

[128] سير توماس. **مصدر سبق ذكره.** ص46.

خاتمة الفصل الأول:

لقد أصبحت للمغول إمبراطورية ضخمة وقوة ضاربة في العالم بسبب شجاعة قائدها جنكيز خان، الذي أقام دولة ووضع لها القوانين، وأصدر دستورا للدولة كان بمثابة القانون المنظم لجيمع مناحي الحياة عرف ب(الياسا)، الذي وضع فيه الحدود، وساوى بين الناس، وحدد علاقة الحاكم بالمحكوم، والعقوبات الصارمة، حيث من يزني يقتل، ومن يكذب يقتل، ومن أطعم أسيرا قتل، وكانت سياسته صارمة لا تهاون فيها.

واعتمد النظام العسكري المغولي على تكوين الفرق العسكرية، وجعل لكل فرقة قائد، ولكل قائد قائد أعلى منه يجب أن يتبعه، وهكذا تم تقسي الجيش المغولي، والذي ساعد على تطوير مهارات المغول في الهجوم العسكري، مما مكنهم من احتلال العديد من المدن، وتمكنوا من الإستفادة من الخبراء والمهندسين الموجودين في الأماكن التي احتلوها، واهتموا بالتخطيط قبل القيام بأي هجوم عسكري.

وفيما يخص ديانات المغول فهم لم يؤمنوا بديانة واحدة، فأثناء حكم جنكيز خان توزع المغول على ديانات منه الإسلام، والمسيحية،والبوذية، والشامانية، وأعطى جنكيز خان لكل شخص الحق في اختيار ديانته.

كما واستقر المغول في بلاد الشام زمن الدولة المملوكية الاولى بسبب ما لاقوه من معاملة حسنة وامتيازات قدمها لهم سلاطين المماليك، ويكمن السبب المباشر وراء لجوئهم إلى دولة المماليك الصراع الذي كان يحصل بين القبائل المغولية المختلفة.

بدأت الإمبراطورية المغولية تضعف وتتفكك بعد وفاة جنكيز خان، فلم يتمكن أمراء المغول من الإجتماع لاختيار حاكم جديد، بسبب أماكنهم البعيدة، عن مقر الحكم المغولي،وظل الحكم المغولي يتراجع، نتيجة للخلافات التي وقعت بين الأمراء فلم يتمكنوا من اختيار حاكم للمغول، إلى أن جاء تيمورلنك، وأعاد توحيد الإمبراطورية المغولية من جديد.

الفصل الثاني:

تيمورلنك والدولة المملوكية الثانية

تقديم:

يعتبر تيمورلنك مؤسس السلالة التيمورية في آواسط آسيا، وأول الحكام في العائلة التيمورية الحاكمة، وتعني كلمة لنك الأعرج، أما كلمة تيمورلنك فتعني الحديد، وكان تيمورلنك قائدا عسكريا قام بحملات توسعية بشعة، أدت إلى قتل العديد من المدنيين والحصول على غنائم من المدن التي زحف إليها.

وكان لشمال بلاد الشام ومدينة دمشق نصيب من ذلك فقد دخلها تيمورلنك واستباحها عام 803هـ/ 1401م، في عهد السلطان الظاهر برقوق 784هـ_ 801هـ / 1382_ 1399م ومن بعده ابنه الناصر فرج 801هـ_ 815هـ / 1399م _ 1412م، ووقف السلطان والعلماء ما بين مؤيد ومعارض للحملة.

واستخدم تيمورلنك في رسائله التي أرسلها إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق أسلوب التهديد والوعيد، وكان في كل رسالة يكرر طلبه بإقامة الخطبة والسكة بإسمه، وبضرورة تسليم أحمد بن أويس حاكم بغداد الذي لجأ إلى دولة المماليك والذين رحبوا به من جهتهم، وتسليم رسول تيمورلنك أطليمش، وزاد من توتر العلاقات بين تيمورلنك والمماليك، قيام المماليك بقتل رسل تيمورلنك، وعدم اهتمام السلطنة المملوكية بالرسائل التي يحملها هؤلاء الرسل، فكان السلطان المملوكي الظاهر برقوق يرد على بعضها ويهمل البعض الآخر.

أما السلطان المملوكي الناصر فرج 801هـ_ 815هـ / 1399م _ 1412م، الذي تولى عرش السلطنة المملوكية بعد وفاة أبيه، فقد كان صغير السن وكثرت الفتن والمؤامرات في عهده، ما أدى إلى تشجيع تيمورلنك على القيام بتسيير حملته على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق، واستباحتها ونهبها وتخريبها والتنكيل بسكانها وطمس معالمها.

أولا: تيمور لنك(728-807هـ/ 1328م- 1405م):

لا بد قبل الحديث والخوض في الحياة السياسية لتيمورلنك استعراض نسبه وأصوله، فليس من السهل على الباحث أن يصل إلى حقيقة هذه الأصول، لأن المؤرخين الذين عاشوا في عصره وكتبوا له التراجم وأوردوا التفصيلات الدقيقة عن حياته عندما أصبح شخصية مشهورة، لم يذكروا عن أصوله ونسبه إلا معلومات قليلة وغامضة[129].

فهناك نقش حجري كتب على شاهد قبر تيمورلنك في مدينة سمرقند، وجاء في هذا النقش الذي كتب باللغة العربية[130]، ذكر نسب تيمورلنك أنه يلتقي مع نسب جنكيزخان عند الجد تومان خان الذي رزق بولدين توأمين هما قجولاي وقابول، من امرأة حملت بهما من الجد الثالث عشر لتيمور من نور دخل عليها من أعلى الباب وتمثل لها بشرا وذكر أنه من أبناء أمير المؤمنين الإمام علي كما أشير لذلك في هذا النقش[131]. وهذه الرواية عبارة عن خرافة كان الهدف منها الرفع من قيمة تيمورلنك.

ويعد بركل جد تيمور الذي كان قائدا في جيش دولة أبناء جغطاي بن جنكيزخان، شيخا عابدا أقام تكية في مدينة كش موطن قبيلة برلاس التركية، وأسس جماعة دينية انضم لها عددا من الاتباع تولى هو إدارتها[132]، ويورد البعض وجود صلة بين تيمورلنك وعلي بن أبي طالب من ناحية النسب، وهذا لا أساس له من الصحة، ويعزى ادعاء تيمورلنك هذا النسب الى أمرين الأمر الأول تعزيز مكانة تيمورلنك في نظر المسلمين، أما الأمر الثاني فهوعدم الخروج على تعاليم شريعة الياسا المغولية، التي قد نصت على ضرورة معاملة

---

[129] لامب. مصدر سبق ذكره. ص14

[130] لامب. مصدر سبق ذكره. ص14

[131] لامب. مصدر سبق ذكره. ص16.

[132] Bojegei. Kate: **The Mongols**. London. 1998. p43...

أبناء علي بن أبي طالب بالرعاية والإحترام[133]، وبالتالي تبرير استيلائه على السلطة في ما وراء النهر[134].

أما أم تيمورلنك فتدعى تكينة مخاتون، وينتهي نسبها إلى جنكيزخان[135]، وهي من سلالة الملك منوجهر، وهذا ما ادعاه تيمورلنك في رسائله إلى السلطان العثماني بايزيد **804**هـ/ **1402**م، قبل أن يغير تيمورلنك على بلاده، وادعائه بأنه من سلالة أسرة الإيلخانيين التي كانت تحكم في إيران وينتهي نسبها إلى هولاكو حفيد جنكيزخان[136].

وقد ولد تيمورلنك في ضواحي مدينة كش وينفرد ابن عربشاه في ذكر المكان الذي ولد فيه تيمورلنك، وهو قرية خواجة ايلغار الواقعة في ضواحي تلك المدينة[137]، ويرى ابن عربشاه أن إسم تيمورلنك أعجمي الأصل ويعني الحديد[138]، وكلمة تيمورلنك تعود لأصل تركي[139]، وأما كلمة لنك فهي فارسية الأصل وتعني أعرج، وقد أطلقها عليه أعداؤه بسبب ما أصابه من عرج لسهم أصابه[140].

وقد كان يعمل أبوه راعياً والبعض يقول إسكافيا. ونشأ تيمورلنك وقد لازمه الفقر وقطع الطريق، وقال آخرون بل كان أميرا ووزيرا عند حاكم هيراث الملك حسين كرت، ولذلك نشأ تيمورلنك يعاشر أبناء الأمراء والوزراء[141].

وفي حديثنا عن صفاته فقد ذكر المؤرخون أن تيمورلنك كان متفوقاً على أقرانه فقد كان قائداً وطفلاً ورجلاً في آن واحد، في ذلك كون والده رئيسا وقائدا لقبيلة برلاس المغولية،

---

[133]. المقريزي. **الخطط**. ج2. ص221-222.
[134]. المقريزي. **السلوك** ج2. ق2. ص132.
[135] ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره**. ص6.
[136] ابن خلدون. **مصدر سبق ذكره**. ص373.
[137] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص3.
[138] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص3.
[138] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص3.
[139] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج7. ص307
[140] القلقشندي. **مصدر سبق ذكره**. ج7. ص307.
[141] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص5- 6؛ ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص17.

التي تنتمي إلى الأتراك، واكتسبوا التسمية المغولية بعد انضمامهم لجيش جنكيزخان الذي وحد تلك القبائل، وحاربوا مع أبناء وزعماء القبيلة الذهبية المغولية في روسيا والقرم وكان رجال القبيلة رجالاً تعلموا فنون القتال[142].

وكان تيمورلنك قصير القامة، ممتلئ الجسد، له لحية مستديرة، وكان مخادعا وتفكيره خارقا ، وقد قال فيه ابن اياس:[143]

رزق الضعيف بعجزه	فاق القوي الأغلبا
فالنسر يأكل جيفة	والنحل يأكل طيبا

ومن صفات تيمورلنك أيضاً أنه حسن الوجه، قصير القامة ذو رأس كبير، عريض الأكتاف[144]، وتدل ملامحه على القوة والحيوية، وكان قليل الكلام، لايحب المزاح والهزل، غلب عليه الجد والصرامة في جميع حياته ، وكان شديد الفطنة والذكاء[145]، وكان أعرج بسبب شلل أصاب رجله في أوائل أمره كما ذكرنا سابقا وكان يصلي جميع الصلوات وكان جهير الصوت، ويحب لعبة الشطرنج ويتقنها ويتسابق إليها.

وأحب التقرب من العلماء والصلحاء وأكرمهم وكان ذو رأي صائب وخاصة في خططه الحربية، وكان يحب الاستماع إلى الأحداث التاريخية ما جعله على اطلاع واسع بها بالرغم من أنه نشأ أميا لا يحسن الكتابة، وكان يحب الرجل الذي يتقن صناعة ما، إذا كان مبدعا وماهرا بها[146].

وبرع تيمور في اللغة الفارسية والتركية والمغلية، وأتقنها جيدا. وقد جعل قواعد جنكيز خان أصلاً وليس فرعاً، أي دستورا يختص بتنظيم الحياة في جميع مجالاتها، مما جعل رجال الدين يفتون بكفره[147].

---

[142] المقريزي. **السلوك**. ج2.ق2.ص134.
[143] ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**. ج1. ق2. ص619.
[144] ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ق2. ص619.
[145] ابن خلدون.**تاريخ ابن خلدون**. مج7. ص1222.
[146] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**.ج4.ص210.
[147] ابن خلدون. **المصدر السابق**. مج7. ص1222.

وأقام تيمورلنك جواسيس في جميع البلاد التي سيطر عليها والتي لم يسيطر عليها، وهذه كانت عادة المغول، وكانت مهمتهم تقوم على نقل كل ما يدور من حوادث على أكمل وجه، وبعد حصوله على المعلومات اللازمة عن الدولة يجهز جيشه ويستعد لغزوها.
وتميزت سياسته في الإغارة على البلاد الأخرى بالخديعة حيث كان يكتب للجواسيس في تلك الجهات لأخذ الحذر، ويطمأن الجهة التي يرغب بإحتلالها فيأمن أهلها فإذا سار بجنوده ذات الشمال توجه بهم ذات اليمين، فإلى أن يصل الخبر الثاني داهم هو الجهة التي يريد وأهلها مطمئنون آمنون.

وكان تيمورلنك حريصا على جعل مدينته سمرقند مدينة عريقة بفخامة القصورالتي شيدها والبساتين التي أنشأها، حيث بنى عدة أعمدة أطلق على كل واحدة منها إسماً من أسماء هذه الدول (حمص، وبغداد، ودمشق، وشيراز)[148]، ولعل اطلاق هذه الأسماء على الأعمدة يرجع إلى النوايا المسبقة التي كان تيمورلنك يخبؤها وهي السيطرة على هذه المدن وجعلها جزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته.

وكان تيمورلنك كثير التردد على المساجد ومجالس العلماء والفقهاء، وقد شجع العلم والعلماء كما شجع الفنون المعمارية[149]، وكان يجمع العلماء ويستمع لمناظرات كانت تقام بينهم ولم يغفل يوما عن مشاورتهم في المسائل. وكان يحب آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم[150]. ويوصف بأنه شديد الفطنة والذكاء كثير البحث بما يعلم وبما لا يعلم، ويصفه آخرون بانتحال السحر[151].

كان تيمورلنك طوال فترة حياته يطمح للوصول إلى السلطة، وقد ساده الحزن على ما آلت إليه بلاده إثر الصراع على السلطة، ورأى تيمورلنك بعد استشارة أحد رجال الدين وهو الملا زين الدين أن يذهب إلى الخان ويتعاون معه، ويخبره عن مخاوف الناس بسبب سوء

---

[148] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**.ج4.ص210.
[149] البار، محمد علي. **كيف أسلم المغول** . عمان: دار الفتح للدراسات والنشر .2008. ص48.
[150] المناوي، صدر الدين . **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**. ج3. بيروت: دار الكتب العلمية. ص227.
[151] ابن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**. مج7. ص1222.

الأحوال في بلاد ما وراء النهر، وهذا ما فعله بعد إرسال زوجته وطفلها إلى أخيها وكان أحد ملوك أفغانستان[152].

قابل تيمورلنك "الخان تغلق تيمور" في مقره فقدم له تيمورلنك فروض الولاء والطاعة فنعته بالأب والملك والسيد، وعرفه على نفسه بقوله إنه قائد رجال البرلاس من المدينة الخضراء وقدم له تيمور الهدايا فأعجب به الخان وإستعان به في توحيد ملكه لعل باقي الأمراء المنشقين ينضمون إليه وأمر الخان تغلق بتعيين تيمورلنك رئيسا لقبيلة برلاس التي كان يرأسها أبوه، ومن بعده عمه حاجي برلاس، المتمرد على الخان الذي عاد من منفاه في أثناء حكم تيمورلنك وتحالف مع زعيم القبيلة جلائر بايزيد واتفقا على التخلص من تيمورلنك[153].

وأعلن بايزيد جلائري نفسه حاكما على البلاد وأرسل كلاً من عم تيمورلنك وبايزيد جلائري إليه كي يجتمعا به للتداول في أمور البلاد وكانا ينويان قتله، ولكن تلك المحاولة باءت بالفشل، وقد اكتشف تيمورلنك تلك المحاولة التي أدت إلى صراع وقتال بين تيمورلنك والمتآمرين على قتله، وفي هذه الأثناء كان الخان تغلق خارج بلاد ما وراء النهر و طلب منه تيمورلنك العودة لضبط الأمور التي خرجت عن سيطرته بتمرد عمه وغيره من المتمردين الذين أصبح عددهم كبيراً ولم يعد يقوى تيمورلنك عن مجابهتهم[154].

وبالفعل عاد "الخان تغلق تيمور" من عاصمة المماليك في منتصف عام **659**هـ/ **1261**م، لضبط الأمن في البلاد فأمر بإعدام بايزيد جلائري وهرب عم تيمور حاجي برلاس مع أنصاره إلى الجنوب، وهكذا خلت الساحة من منافسي تيمورلنك ولم يبقَ إلا نسيبه شقيق زوجته الأمير حسين حفيد الخان الراحل قازاغان الذي قاد ثورة ضد "الخان تغلق تيمور"[155].

---

[152]. عبد الحكيم، منصور. **تيمور لنك إمبراطور على صهوة جواد**. القاهرة: دار الكتاب العربي. 1998م.ص102.

[153]. عبد الحكيم. **مصدر سبق ذكره**. ص103.

[154]. عبد الحكيم. **مصدر سبق ذكره**. ص104.

155. عبد الحكيم. **مصدر سبق ذكره**. ص104.

وقد عرف عن تيمورلنك " أنه كان يتجرم فسرق في بعض الليالي غنمة وحملها ليمر بها، فانتبه الراعي ورماه بسهم فأصاب كتفه ثم ردفه بآخر فلم يصبه، ثم بآخر فأصاب فخذه، وعمل الجرح الثاني الذي في فخذه حتى عرج منه، لهذا سمي تيمورلنك، ولنك باللغة الأعجمية الأعرج، ولما تعافى منها تيمور لنك أخذ يقطع الطريق ويسرق بصحبة أربعين رجلا"[156]. وكان تيمورلنك يردد عبارة " لا بد أن أملك الأرض وأقتل ملوك الدنيا"[157]، فيسخر منه من كان يسمعه.

وقام تيمورلنك بقتل الأمير حسين وأصبح الطريق ممهدا مفروشا بالورود أمام تيمورلنك كي يعتلي العرش ولم يبقَ إلا عقبة واحدة، هي قانون جنكيزخان الذي يقضي بأن يكون الخان الأعظم للمغول من نسل جنكيزخان [158]، إلا أن هذا الشرط يمكن أن يتخطاه تيمورلنك وقد تخطاه بالفعل، وذلك حين وضع أحد أحفاد جنكيزخان، كحاكم صوري، ويكون تيمورلنك أميرا وحاكما فعليا، وقد دعا تيمورلنك المجلس العام لرؤساء وقبائل المغول المسمى (قوريلتاي) في العاصمة المغولية وأسرع للحضور أعضاء المجلس وفيهم علماء وفقهاء وأمراء من شتى دول المغول من الهند وإيران وبخارى، وطالب رؤساء القبائل المغولية بتنفيد شريعة جنكيزخان وذلك بأن يكون الخان رئيس البلاد من ذريته ويكون تيمورلنك نائبا له، ولقي هذا القرارمعارضة من رجال الدين واعتبروا ذلك مخالفا للشريعة، وطالبوا بضرورة تنصيب تيمورلنك فهو الرجل القادر على توحيد الصفوف وإعادة الاستقرار للبلاد بعد أن سادها الفوضى والصراعات، وقد أيد هذا القول الفرسان والمقاتلون المغول ورأوا أن لا بديل عن اختيار تيمورلنك سلطانا عليهم"[159].

وانتهى الأمر إلى موافقة الأمراء وكبار شيوخ القبائل على اختيار تيمورلنك سلطانا عليهم وذهبوا إليه وبايعوه وأجلسوه على العرش، وكانت تلك الطريقة القديمة للمغول في اختيار زعيمهم وملكهم، وأصبح تيمور أميراً على قبائل المغول واكتفى بلقب الأمير حتى عام

---

[156] ابن العماد. **مصدر سبق ذكره.** ج7. ص62؛ ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ج1. ص3.
[157] ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره.** ج12.ص253؛ ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ج4. ص211.
[158] عبد الحكيم. مصدر سبق **ذكره.** ص118-119 .
[159] عبد الحكيم. **مصدر سبق** ذكره. ص118-119.

786هـ / 1388م حين توفي الخان الصوري سيور غمتميش[160]، وبعد اعتلاء تيمور العرش عفا عن كل معارضيه وقام بإعادة بناء وإعمار مدينة سمرقند بعد أن حل به الخراب نتيجة الصراع بين قبائل المغول، كما بدأ عمله كخان للمغول بوضع استراتيجية هدفها إنشاء إمبراطورية مغولية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيزخان[161].

وكانت تحكم في إقليم خوارزم أسرة آل صوفي وهي تنتمي إلى قبيلة مغولية تركية تدعى تموتكرات وقامت هذه الأسرة بالاستيلاء على مدينة كات وخيوة، أثناء نشوب الصراع بين تيمور والأمير حسين، وأما الأمير حسين فقد رغب بشدة لضم كل بلاد ما وراء النهر، وخاصة الإيرانية منها وكانت أول هذه المدن هي خوارزم[162]،وعاصمتها أوركنج ذات الحضارة والازدهار والأسوار العالية حيث موقعها على نهر أوموداريا[163].

وكان على كرسي الحكم في إقليم خوارزم حسين الصوفي[164]، الذي قام بإرسال الهدايا الثمينة لتيمورلنك عقب جلوسه على العرش، ورد عليه تيمورلنك بهدايا أكثر قيمة وطلب من حسين صوفي أن يزوج ابنته لابنه جهانكير، حتى يستطيع ضم خوارزم دون مشاكل أو قتال، وقوبل طلبه بالرفض[165].

وقرر تيمورلنك غزو خوارزم ولا سيما أن حسين صوفي أودع السجن أحد الوسطاء الذين أرادوا عدم إشتعال الحرب بين تيمورلنك وحسين صوفي حتى لا تراق فيها دماء المسلمين وكان هذا الوسيط مرسلا من جانب تيمورلنك وبعدها بفترة قصيرة مرض حسين صوفي فجأة وتوفي [166].

---

[160] لامب. **مصدر سبق ذكره.** ص36.
[161] عبد الحكيم .**مصدر سبق ذكره.** ص119.
[162] ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره.** ج4. ص111.
[163] صفا. **مصدر سبق ذكره.** ص67.
[164] صفا.**مصدر سبق ذكره.** ص67.
[165] عبد الحكيم.**مصدر سبق ذكره.**ص124.
[166] عبد الحكيم. **مصدر سبق ذكره.** ص124.

وتولى أخوه السلطان يوسف الحكم بعده، وقام بالاتصال بتيمورلنك واسترضاه وعرض عليه أن يزوج ابنة أخيه خان زاده أحد أبناء تيمورلنك وأن يكون تابعاً له في حكم خوارزم، فوافق تيمورلنك على ذلك وقرر الرجوع إلى مقره وحكمه وذلك عام **773هـ/1377م**[167].

ولم تمضِ ثلاث سنوات حتى اكتشف تيمور لنك أثناء محاكمة الأمير " كيخسرو" بتهمة التآمر على تيمورلنك أن هناك اتفاقاً بين كيخسرو ويوسف صوفي حاكم خوارزم، فسارع تيمورلنك إلى غزو خوارزم فلما علم حسين صوفي سارع إلى طلب الأمان من تيمورلنك فشفعت له ابنة أخيه زادة التي تزوجها ابن تيمورلنك وعفا عنه وأبقاه في الحكم [168].

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد فقد عاود يوسف صوفي التمرد على تيمورلنك حين علم أنه منشغلاً بقتال القبيلة الذهبية المغولية، وأغار يوسف على مدينة بخارى، فأرسل إليه تيمورلنك رسولاً يسأله عن ذلك فقام يوسف صوفي بسجنه، فتحرك إليه تيمورلنك وحاصر عاصمة خوارزم أكثر من ثلاثة عشر شهرا، فسقطت المدينة في يديه فأباحها للسلب والنهب ودمر أسوارها وأسر أشرافها وقتل الكثير من سكانها وأحرقت القصور والمباني وتركت المدينة خرائب تسكنها الأشباح[169].

وبعد ذلك تحول تيمورلنك لغزو بلاد إيران، واستطاع تيمورلنك السيطرة على لوريستان مما ساعده على القضاء على دولة الجلائريين حكام الشمال الغربي والإيراني فيما بعد، وأرسل حكام لوريستان إلى عاصمة سمرقند وهرب السلطان أحمد بن أويس جلائري من تبريز، إلى بغداد بعد أن احتل تيمورلنك تبريز وقضى فيها عام**789هـ/1387م**[170].

---

[167]. لامب.**مصدر سبق ذكره.** ص86.
[168]. لامب. **مصدر سبق ذكره.** ص86.
[169]. لامب . **مصدر سبق ذكره.** ص87.
[170]. ابن تغري بردى. **النجوم الزاهرة.** ج12. ص209.

ثم قام تيمور بغزو جورجيا بعد أن غادر مدينة تبريز فكانت أول المدن التي دخلها في تلك المنطقة مدينة نخشفان على ضفاف نهر أرس (أراكس)، وهي من بلاد الكرج جورجيا حاليا ، وغادر بعدها بلاد جورجيا إلى أذربيجان وقد أخذ بقراط ملك جورجيا أسيرا وخضع له حاكم شروان الشيخ إبراهيم ثم انحدر إلى (قرة باغ) ثم إلى (بردع) في الشمال وجاءته الأخبار بهجوم ملك القبيلة الذهبية المغولية طقتمش ردا على إحتلال تيمورلنك لأذربيجان التي كانت ضمن أملاك القبيلة الذهبية فهاجمه تيمورلنك[171]، ورده إلى بلاده وكانت تلك بداية الصراع بينه و بين إخوانه من القبيلة الذهبية.

وبعدها غزا تيمورلنك دولة المظفرين حيث رفض حاكمها زين العابدين طلب تيمورلنك بدخول بلاده واعتقل تيمور ذلك الحاكم وحدثت مناوشات بين سكان مدينة أصفهان وجنود تيمورلنك رغم استسلام أهل المدينة له مما أدى إلى قيام تيمورلنك بقتل سبعين ألفا من السكان في عام **789**هـ / **1387**م، وأخذ تيمورلنك كل الحرفيين من تلك المدينة إلى سمرقند[172]. وتوجه تيمورلنك بعد أصفهان إلى شيراز وهرب حاكمها من أمامه إلى ابن عمه حاكم خوزستان وجاء المظفرون إلى تيمورلنك يقدمون له فروض الولاء والطاعة، فرضي منهم ذلك وعاد إلى عاصمته سمرقند محملاً بالأموال والغنائم ليستعد لمعركة أخرى مع أبناء عمومته أبناء القبيلة الذهبية - التي امتدت **789**هـ _ **793**هـ/ **1387**م_ **1391**م[173].

وبعدها قرر تيمورلنك في عام **795**هـ / **1393**م الزحف إلى بغداد فأسرع حاكمها السلطان أحمد بن أويس بإرسال الهدايا الثمينة إليه فاعتذر عن الحضور بشخصه لمقابلة تيمورلنك كما أبدى انزعاجه من القوة العسكرية الهائلة التي تصاحبه، ولكن تيمور أصر على الدعاء له في خطبة الجمعة في مساجد بغداد، وسك العملة باسمه، بما يعني خضوع أحمد بن أويس له خضوعا فعليا، واستجاب أحمد بن أويس لتلك الطلبات، ولكن ذلك لم يثني تيمورلنك عن الاستيلاء على العراق، فهاجم بغداد واستولى عليها سنة **795**هـ

---

[171] ابن تغري بردى. **النجوم الزاهرة**. ج12. ص210

[172] ابن تغري بردى. **النجوم الزاهرة**. ج12. ص210.

[173] عبد الحكيم .**مصدر سبق ذكره**..ص129.

/1393م، فهرب أحمد بن أويس إلى سلطان المماليك برقوق بالقاهرة[174]. وإستولى تيمورلنك على بغداد وزحف إلى تكريت وقام بنشر عساكره بديار بكر والرها[175]. ثم توجه إلى بلاد الشام في سنة 798هـ/ 1396م، ورجع خائفا من الملك الظاهر برقوق إلى بلاده. وسنتحدث عن ذلك لاحقاً.

ثانياً: موقف السلطان برقوق وابنه فرج وحاشيتهم من حملة تيمورلنك على بلاد الشام:
على الرغم من حالة التفكك والفوضى التي كانت تعاني منها الدولة المملوكية، إلا أن السلطات المملوكية كانت حريصة على تتبع حركات تيمورلنك منذ أن بدأ أعماله في إيران والعراق، حيث قام تيمورلنك بإرسال قوة عسكرية لكشف أخبار تيمورلنك بقيادة أحد الأمراء المماليك، وعادت إلى القاهرة في عام 789هـ / 1387م، حاملة أخبار انتصار تيمورلنك على تركمان في منطقة الفرات العليا[176].

ويظهر أن السلطات المملوكية لم يكن لديها في تلك الآونة خطة معينة في مقاومة توسع تيمورلنك أو حتى التدخل لتقديم المساعدة لحكام إيران والعراق، إذ عندما أرسل حاكم ماردين الظاهر مجد الدين عيسى إلى القاهرة وطلب منه تيمورلنك التنحي عن العرش وأن يخطب ويضرب النقوذ باسمه، وكان جواب القاهرة فاترا، ولم تطلب منه سوى الإنتظار[177].
ودفعت سياسة تيمورلنك العدائية ضد المماليك لأن يحرص على أن يظل مضطلعاً على أحوال دولة المماليك، عن طريق شبكات التجسس التي دأب على بثها في بلاد الشام، بل وحتى في القاهرة نفسها، وقد تم اكتشاف إحدى هذه الشبكات في حلب عام 789هـ/ 1387م[178].

---

[174]الجوهري.**مصدر سبق ذكره**.ج1. ص473- ص474؛ إبن الفرات.**مصدر سبق ذكره**.مج1.ج2.ص254-255.
[175] إبن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**. مج7. ص324.
[176].ابن الفرات. **مصدر سبق ذكره**.مج9. ج1. ص10.
[177]. ابن الفرات. **مصدر سبق ذكره**.مج9. ج2. ص343.
[178]. ابن الفرات. **مصدر سبق ذكره**. مج9. ج1. ص12-ص14.

واكتشف المماليك بعد ذلك التاريخ بسبع سنوات شبكة تجسس أخرى كانت تمارس عملها بين حلب والقاهرة، فقد أشار كل من المقريزي والعسقلاني وابن قاضي شهبة، إلى أنه في ربيع الأول عام 796هـ/ 1394م، أرسلت سلطات الشام المملوكية إلى القاهرة رجلا تركيا مكبلا بالحديد يدعى دولات جحا أقر بعد ضربه بوجود عدد من الجواسيس في القاهرة يساعدونه في عمله، فألقي القبض على سبعة منهم، وكانوا في ثياب التجار[179].

وكانت أعمال تيمورلنك العدوانية ضد دولة المماليك ومطامعه في أراضيها مكشوفة، ويؤكد على ذلك السخاوي الذي أفاد بأن تيمورلنك قد قصد بعد احتلال بغداد إلى الرحبة الواقعة على نهر الفرات، يريد الإغارة على بلاد الشام ولكن حركة طقتمش خان القبجاق وحليف المماليك في شمال أذربيجان أجبرته على التراجع[180]، وظل تيمورلنك يظهر رغبته باحتلال مصر في كثير من المناسبات وجاء ذلك في إحدى رسائله إلى أحد أمراء عرب بادية الشام، والتي يحرضه فيها للخروج على سلطة المماليك والانضمام إليه عام 796هـ/ 1394م، وذلك في قوله: " فنحن واصلون إليكم في طريقنا إلى مصر "[181]. وقام تيمورلنك بإجلاء الجزء الأكبر من قواته عن مدينة بغداد، استعدادا لمواجهة المماليك في بلاد الشام[182].

وكانت الإحتكاكات الأولى بين تيمورلنك والمماليك في الغالب غير مباشرة قبل عام 796هـ/ 1394م، واقتصرت على بعض الإجراءات التي يتخذها السلطان المملوكي أو نوابه في بلاد الشام، ردا على الأعمال التي كانت قوات تيمورلنك تقوم بها في المناطق الغربية من ثغور بلادهم في العراق أو ايران من باب الاحتياط، فقد وجه السلطان الظاهر برقوق بعض أمرائه إلى بلاد الشام لاتخاذ بعض الإجراءات الدفاعية، على أثر وصول أخبار تقدم جيش تيمورلنك إلى إيران عام789هـ/ 1387م[183].

---

[179]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. ص802؛ ابن حجر. **مصدرسبق ذكره**. ج1. ص474.

[180]السخاوي.**مصدر سبق ذكره**. ج2. ص46.

[181] القلقشندي.**مصدر سبق ذكره**. ج7. ص311.

[182] واترسون،جيمس.**فرسان الإ سلام وحروب المماليك**.ترجمة:يعقوب عبد الله .القاهرة: المركز القومي. 2011.ص341.

[183] ابن الفرات.**مصدر سبق ذكره**. مج9. ج1. ص12.

واشتبكت قوات تيمورلنك مع القوات المملوكية التي وجهت إلى بلاد الشام في ضواحي ملطية وسيواس[184]. وعقد السلطان المملوكي مجلسا للتشاور حضره الخليفة العباسي والقضاة وشيخ الإسلام، وقد تم فيه جمع الأموال لتجهيز الجيوش.
وقام السلطان بسلسلة تغييرات في المناصب الرئيسية في بلادالشام ويبدو أن السلطان كان لا يطمئن إلى كفاءة وإخلاص نوابه في تلك البلاد[185].

ودخلت العلاقات بين المماليك وتيمورلنك 796هـ/ 1394م، مرحلة جديدة من التأزم والاحتدام عندما لجأ سلطان بغداد أحمد بن أويس الفار من وجه تيمور إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق وكان السلطان برقوق قد رحب به ووعده بتقديم المساعدة لاسترجاع بغداد، وخرج معه على رأس قواته إلى دمشق وأمر نائبه في حلب بالتقدم لرصد قوات تيمورلنك حتى ضفاف نهر الفرات[186].

و أثناء اجتماع السلطان الظاهر برقوق بالامراء والنواب في دمشق، طلب المساعدة من طقتمش خان القبجاق والسلطان العثماني بايزيد للوقوف في وجه تيمورلنك[187]، وظل السلطان الظاهر برقوق في دمشق إلى أن تحقق من ابتعاد قوات تيمورلنك عن حدود أملاكه ونجاح أحمد بن أويس بالعودة إلى بغداد وإقامة الخطبة باسم السلطان الظاهر برقوق الذي نجح في جعل بغداد جزءا من الدولة المملوكية، وبعد ذلك تقدم السلطان الظاهر برقوق نحو حلب[188].

وفي أول احتكاك مباشر بين المماليك وقوات تيمورلنك لحل المسائل المختلف عليها والناجمة عن اجتياح تيمورلنك العراق، وموقف المماليك من سلطان بغداد أحمد بن أويس[189]، أرسل تيمورلنك رسل إلى سلطان المماليك الظاهر برقوق.

---

[184] المقريزي السلوك. ج3. ق2. ص563.
[185] ابن اياس. **مصدر سبق ذكره.** ج3. ص267-ص269.
[186] ابن الفرات.**مصدر سبق ذكره.** مج9. ص336؛ ابن خلدون.**مصدر سبق ذكره.**مج5.ص1175-1176
[187] ابن صصرى.**مصدر سبق ذكره.** ص14؛ ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ج1. ص471.
[188] ابن حجر.**مصدر سبق ذكره.** ج1.ص476؛ ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره.** ص207.
[189] المقريزي. السلوك. ج3. ق2. ص538..

وقد وصل الوفد التيموري إلى الرحبة في عام 795هـ/ 1393م[190]، ووقعت مشادة كلامية بين أعضاء الوفد وبين نائب الرحبة، وكان الوفد قد طلب منهم أن يضرب السكة وتكون الخطبة بإسم تيمورلنك. وجاءت الاوامر من السلطة المملوكية في القاهرة إلى نائب الرحبة بالقضاء على الوفد التيموري سرا، وأخذ كل ما حملوه معهم من الهدايا وإرسالها إلى القاهرة[191]، وكان عددهم أربعين شخصاً[192]، وقد تم قتلهم وهم نيام، إلا واحداً أرسل مع الهدايا إلى القاهرة عن طريق دمشق[193]، وتبين أن هدية تيمورلنك كانت عبارة عن تسعة عبيد وتسع جوار، وأنهم جميعا كانوا من أحرار بغداد، وأسرهم تيمورلنك عند احتلاله لها. وجعلهم أرقاء[194].

وفي حادثة أخرى قبض السلطان الظاهر برقوق على جواسيس لتيمورلنك في القاهرة جاؤوا على هيئة تجار وكانوا سبعة[195]، وغضب تيمورلنك غضباً شديدا لقتل جواسيسه فأرسل إلى السلطان الظاهر برقوق رسالة شديدة اللهجة مليئة بالتهديد والانتقام وتنكرعليه قتل سفرائه غير أن الظاهر برقوق لم يلقي بالاً لتلك الرسالة، بل رد عليها برسالة أخرى أقوى تعبيرا وأشد تهديدا، وشرع بالتجهيز لمواجهة الخطر التيموري.

وأرسل تيمورلنك أربع رسائل وتلقى من السلطان المملوكي الظاهر برقوق ثلاثة ردود على هذه الرسائل، فالرسالة الأولى حملها الوفد الذي قتله المماليك في الرحبة، وكان مضمونها يدور حول اتاحة الفرصة للتجار لينتقلوا بأمان بين الدولتين[196].

وكان إقدام السلطان الظاهر برقوق على قتل رسل تيمورلنك دافعا ليرسل تيمورلنك رسالته الثانية، وقد وصلت الرسالة إلى القاهرة عام 796هـ/ 1394م[197]، وكانت على عكس

---

[190] ابن صصرى. **مصدر سبق ذكره.** ص145.
[191].ابن الفرات.**مصدر سبق ذكره.** مج9. ج2. ص362.
[192]ابن الفرات. **مصدر سبق ذكره** مج9. ج2. ص362؛ ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره.** ص472.
[193] ابن صصرى. **مصدر سبق ذكره.** ص145.
[194] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ص210.
[195] ابن الصيرفي. **مصدر سبق ذكره.** ص78.
[196] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره.** ص472.
[197] المقريزي. **السلوك.** ج3. ق2. ص803-805.

الأولى مشحونة بالتهديد والوعيد على حد تعبيرابن حجر[198]، وطالب تيمورلنك السلطان الظاهر برقوق بأن يعلن طاعته له، وإلا يحمله مسؤولية الرفض والعصيان، وقد ذكر ابن عربشاه وابن حجر أن فقرات مطولة من مقدمة الخطاب قد انتزعت من الخطاب الذي أرسله القائد المغولي هولاكو إلى السلطان المملوكي قطز عام (658هـ/ 1260م)، قبيل معركة عين جالوت، وكان الخطاب من إنشاء أحد الكتاب الفرس ويدعى نصير الدين الطوسي وكان من أبرز الشخصيات عند هولاكو[199].

وأرسل السلطان الظاهر برقوق رده على رسالة تيمورلنك بعد ثلاثة أيام من تسلمها[200]، وكان الرد مصحوبا بالتوبيخ العنيف.
وبدأها بعد البسملة:" قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى أصحابه وآله وأهل بيته وسلم يارب تسليما كثيرا، أما بعد فقد على كتاب مخبر عن الحضرة اليلخانية والمملكة السلطانية ، تقولون إنكم مخلوقون من سخطه ومسلطون على من حل عليه غضب الله وأنكم لا ترقون لشاكي ولا تحمون عسيرة باكي وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك أكبر عيوبكم وهذه من صفات الشياطين لا من صفات السلاطين ويكفيكم هذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم" [201].

هذا نص كتاب السلطان برقوق على تيمورلنك، الذي أعلن فيه رفضه الإقرار بالطاعة والولاء لتيمور، وأعلن استعداده للقتال.
وينفرد القلقشندي في صبح الأعشى بإيراد خطاب ثالث أرسله برقوق في جمادى الأولى من[202] ذلك العام 796هـ/ 1394م، أي بعد شهر واحد من إرساله الرد السابق، وكان

---

[198] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ج1. ص474.
[199] ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره.**ص67؛ابن حجر.**مصدر سبق ذكره**.ج1.ص474.
[200] المقريزي. **السلوك.** ج3. ق2. ص805- 807.
[201] ابن صصرى. **مصدر سبق ذكره.** ص147-148.
[202] القلقشندي. **مصدر سبق ذكره.** ص*318*-319.

برقوق في طريقه من القاهرة [203]، إلى دمشق للعمل على إعادة أحمد بن أويس الجلائري إلى بغداد.

ويرد في تلك الرسالة على عدد من الرسائل والتي كانت قد وصلت السلطان الظاهر برقوق من تيمورلنك سابقا، من ذلك قوله:" فقد وصل إلى أبوابنا الشريفة العالية كل ما جهزته أول وآخرا من كتاب، ثم قوله: في الخطاب نفسه من مكان آخر فأما ما ذكرته في أول كتبك أنك لم تزل في كتبك كلها تستشهد بتاريخ جنكيزخان"[204]، وورد في خطاب السلطان الظاهر برقوق الجديد ردود على ما ورد في خطابي تيمورلنك السابقين المشار إليهما.

وكان الوضع الاقتصادي للدولة المملوكية في تلك المرحلة أصعب مما يكون فكانت الخزائن فارغة ما اضطر السلطان الظاهر برقوق لاتخاذ تدابير جديدة كفيلة بتأمين المال الضروري للحرب، "ففرض على موظفي الدولة وموظفي الأمراء وعلى الديوان الخاص تقديم المال كل على قدر طاقته، ثم حاول مصادرة أموال الأوقاف ولقي معارضة من رجال الدين فاكتفى بأخذ أجرة المساكن، وخراج سنة كاملة، ثم صادر خمسمائة وستين ألف درهم من أموال الأيتام واستدان من التجار مليون درهم، وضمنه محمود الأستادار على المبلغ ثم جبى الأموال من الناس بالعصا"[205] .

وكان السلطان الظاهر برقوق لا يطمئن إلى نوايا تيمورلنك، ولا يثق بما كان يدعيه من رغبة في الصلح، خاصة بعد كشف السلطات المملوكية العديد من شبكات التجسس التي وضعها تيمورلنك في حلب ودمشق والقاهرة، وبعد أن تحقق السلطان الظاهر برقوق من إصرار تيمورلنك على إنتهاج سياسة التوسع وضم الأراضي في المناطق القريبة من حدود

---

[203] القلقشندي. **مصدر سبق ذكره.** ص318- 319.

[204]. القلقشندي. **مصدر سبق ذكره.** ص318 – 319.

[205] ابن اياس. **مصدر سبق ذكره.** ج1. ق2. ص524.

دولة المماليك، ولذلك رأى السلطان الظاهر برقوق اتخاذ موقف عدائي ضد تيمورلنك أفضل من قبوله بسلام غير مضمون[206].

وخرج السلطان الظاهر برقوق على رأس جيشه متجها إلى دمشق واصطحب معه أحمد بن أويس، ووصل وجيشه إلى دمشق في جمادي الأولى سنة 796هـ/ 1394م ومنها إلى حلب وسعى لطلب التحالف مع جيرانه ضد الخطر التيموري وعرض على السلطان بايزيد العثماني أن ينضم إلى القتال لأن الجميع كانوا يشعرون بخطر توسع تيمورلنك وأعماله البربرية[207]، وأخذ يلح في كتابه على اجتماع الكلمة، فلم يلتفت أحد إلى كلامه، وهوجم السلطان الظاهر برقوق من قبل أمراء مصر، ورفضوا القتال تحت إمرته، مع إصرارهم على أن يدافع كل واحد منهم عن بلاده، وكان السلطان العثماني بايزيد قد وضع ملطية تحت الحكم العثماني[208].

ثم تقدمت قوات السلطان الظاهر برقوق قرب نهر الفرات على الحدود بين دمشق والعراق ونجحت فرقة من المماليك في عبور الفرات ليلا، ثم هاجمت مقدمة جيش تيمورلنك وألحقت بها الهزيمة وجاءت الأخبار إلى تيمورلنك بهجوم طقتمش خان القفجاق على منطقة الأبواب عند الحدود بين الدولتين فما كان من تيمورلنك إلا الانسحاب من على الفرات لمواجهة الخطر العاجل على حدود دولته وأجل الانتقام من المماليك إلى فترة تالية [209].

وفي حادثة ثالثة أدت لتعجيل الصدام مع تيمورلنك، قيام يوسف التركماني بحملة على منطقة وان في أرمينيا عام 797هـ / 1395م، وأسر أحد أقرباء تيمورلنك وهو رسوله الأمير أطليمش وتم إرساله إلى القاهرة فبقي محبوسا فيها وعندما أرسل تيمورلنك إلى السلطان الظاهر برقوق طالباً الإفراج عن أطليمش رفض السلان الظاهر برقوق ذلك [210]، وطلب من تيمورلنك الإفراج عن المماليك المعتقلين لديه.

---

[206] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. ص800.
[207] المقريزي. **مصدر سبق ذكره**.ج3. ق2. ص413.
[208] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. ص413؛ أنطون. **مصدر سبق ذكره**. ص335.
[209] ابن تغري بردى . **مصدر سبق ذكره**. ص237.
[210] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. 814- ص815

ولم تقم الحرب بينهما حيث انشغل تيمورلنك بحرب أبناء عمومته من القبيلة الذهبية، ولكن السلطان الظاهر برقوق قام بخطوات عملية لمواجهة تيمورلنك حين جعل نفسه مستعدا لخوض المعركة، وحين طلب محالفة أمراء الشمال، بايزيد الأول العثماني وطقتمش رئيس القفجاق الشرقيين الذين رفضوا طلبه. ورحب بأحمد بن أويس ومنحه حق اللجوء، وضمن طاعة صاحب سيواس وما فعله من قتل سفراء تيمورلنك [211]، ورحل تيمورلنك عن بلاد الشام إلى أرمينيا وهو عاقد العزم على العودة إلى بلاد الشام متى سنحت له الفرصة بذلك غير أن ظروفه الداخلية في ذلك الوقت لم تتح له تحقيق رغبته فقد دخل في حرب ضد خصمه طقتمش خان [212]، ومن جهة أخرى فقد نشبت الفتن في فارس أثناء غيبة تيمورلنك في سوريا.

وهناك مجموعة من المسائل اختلفت فيها مواقف كل من تيمورلنك والسلطان الظاهر برقوق، وكان هذا الاختلاف في المواقف من الأسباب التي أدت إلى سير تيمورلنك لاجتياح بلاد الشام عام 803هـ / 1401م.

ففي حادثة أسر أطليمش وامتناع برقوق عن تسليمه يعتبر سببا هاما لزحف تيمور على بلاد الشام[213]، وأشار ابن عربشاه إلى هذين الأمرين فقال أنه عند مروره فيما بعد بمدينة حماة عام 839هـ / 1436م، وهو في طريقه إلى بلاد الروم فقد اطلع على نقش في أحد مساجد المدينة يدعى الجامع النوري كتب باللغة الفارسية، يرجع تاريخه إلى عام 803هـ /1401م، وهو التاريخ الذي قدم به تيمورلنك على الشكل التالي " وسبب تصوير هذا التسطير هو أن الله تعالى يسر لنا فتح البلاد حتى بعثنا إلى قاصدنا بأنواع التحف والهدايا فقتل قاصدنا من غير موجب لذلك"[214].

---

[211] عباس. **مصدر سبق ذكره** .ص298؛ ابن خلدون. **التعريف**. ص364.

[212] ابن الفرات. **مصدر سبق ذكره**. مج9. ج2. ص369.

[213] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص109.

[214] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص96.

وهناك سببا آخر دفع تيمورلنك للزحف نحو بلاد الشام، هو حقد تيمورلنك على السلطان الظاهر برقوق لمساعدته أحمد بن أويس الجلائري على استعادة عرشه في بغداد[215].
وربما يكون قتل الرسل من قبل الظاهر برقوق سببا من الاسباب التي دفعت تيمور لشن حملته على بلاد الشام. وأيضا قد يكون إضعاف دولة المماليك سببا في قيام الحملة من أجل التوجه فيما بعد إلى تأديب السلطان العثماني بايزيد.

وكل هذه الحجج والمبررات التي وضعها المؤرخون، والتي كان لها دور في جعل تيمورلنك يفكر في احتلال بلاد الشام، فإن أي منها لم يكن السبب المباشر الذي عجل في حملة تيمورلنك على شمال بلاد الشام، وذلك لأن تيمورلنك انتظر طويلا بعد وقوع هذه الأحداث ولم يتخذ أي أمر يدل على رغبته في القيام بهذا الاحتلال، فقد قام بحملة على الهند وبلاد القبجاق[216]، وبعد عودته من الهند إلى بلاده سمع بخبر وفاة السلطان المملوكي الظاهر برقوق.

وقد أخفى تيمورلنك الأسباب الحقيقية وراء قدومه لشمال بلاد الشام ومدينة دمشق في عام 803هـ/ 1401م، ويكمن السبب من وراء احتلاله لهما أنه يريد قتال العثمانيين والمماليك لإضعاف قوتهما بادعاء وقوع خلاف بينه وبين ابنه ميرانشاه حاكم الجزء الغربي من امبراطورية تيمورلنك، وهو الجزء الملاصق لأملاك العثمانيين والمماليك[217].

وحدثت تطورات سياسية جديدة في سلطنة المماليك عجلت بالصدام مع تيمورلنك وكانت هي بمثابة السبب الفعلي لبداية المواجهة مع تيمورلنك عندما أصيب السلطان برقوق بوعكة صحية استمرت عشرين يوما[218]، وفي شوال من سنة 801هـ / 1399م، اشتد مرضه فاستدعى الخليفة والقضاة الأربعة وموظفي الدولة واختار ابنه الناصر فرج ليخلفه، حيث كان لا يزال طفلا.

---

[215] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره**. ص210.
[216] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره**. ص210.
[217] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص72.
[218] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره**. ص210.

واختلف المؤرخون في عمره عند تعيينه فالبعض ذكر أنه كان يتجاوز العاشرة من عمره[219]، وبعض المؤرخين ذكر أن عمره كان الثالثة عشرة[220]، وكتب السلطان وصيته لزوجاته وحواشيه، وجعل الأمير أيتمش هو القائم بتدبير أمور إبنه الناصر فرج، وتوفي في ليلة 15شوال من سنة 801/ 1399م، عن عمرٍ يناهز الستين عاما، وحكم الديار المصرية إحدى وعشرين سنة [221].

فلم يلتفت أحد بعد موت السلطان الظاهر برقوق من المماليك لقتال تيمورلنك، بسبب طغيان المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، فكل شخص كان يسعى للوصول إلى السلطنة، وحدثت اضطرابات سياسية في مصر عندما بلغ السلطان والأمراء أن الأمير قاني باي العلائي الظاهري أحد أمراء الطبلخانات يريد إثارة فتنة، فطلبه السلطان الناصر فرج ونصبه على نيابة غزة فامتنع، ما جعل السلطان الناصر فرج يأمر بالقبض عليه وتسليمه للأمير آقباي الحاجب، فأخذه واصطحبه إلى بيته حتى آخر النهار، واجتمع السلطان الناصر فرج مع الأمراء وتشاوروا، فاتفقوا على إبقائه في إمرته ووظيفته، فأدت هذه الاضطرابات إلى انشغال الدولة عن مواجهة تيمورلنك[222].

ولم يصمد السلطان الناصر فرج أمام تهديدات تيمورلنك، بعكس أبيه السلطان الظاهر برقوق الذي مارس حربا نفسية طويلة على تيمورلنك، من خلال ارسال الرسائل والرسائل المضادة، وقتل الرسل، ويصف المؤرخين الناصر فرج بأنه قليل الخبرة ضعيف الإرادة مستسلم بحكم صغر سنه لمن هم أكبر منه من الأمراء الذين اختلفت أهواؤهم، وتغافل عما يحيق بالبلاد من مؤامرات في الداخل والخارج، ولذلك كان من الطبيعي أن تزداد حالة الفوضى وتزداد الفتن والمنازعات بين كبار الأمراء الملتفين حول السلطان الناصر فرج[223].

---

[219] ابن تغري بردى . **مصدر سبق ذكره**؛ ج12. ص240؛ والسخاوي . **مصدر سبق ذكره**. ج3. ص406.

[220] ذكر ابن اياس أن الناصر فرج تولى الحكم وله من العمر نحو ثلاثة عشر سنة، وكانت أمه روسية الجنس، تسمى شيرين، وكان الملك الناصر أشقر اللون، عربي الوجه، منمش الخدود، انظر: ابن اياس. **بدائع الزهور**. ج1. ق2. ص537.

[221] عباس. **مصدر سبق ذكره**. ص299.

[222] ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص217.

[223] ابن حجر.**مصدر سبق ذكره**. ج2. ص143؛ ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص328.

ومهد تيمورلنك لغزو بلاد الشام بتوجيه رسالة إلى السلطان الناصر فرج عندما جاءته عام 803هـ/ 1401م، رسالة من حلب إلى السلطان الناصر فرج بأخذ تيمورلنك ملطية[224]، ثم وصلت رسالة أخرى تفيد بوصول قوات تيمورلنك إلى مدينة عينتاب وفي الكتاب: "أدركوا المسلمين وإلا هلكوا"[225]، فاستدعى السلطان بعد يومين الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة، ووردهم أن تيمورلنك وصلت مقدمته إلى مرعشي وعينتاب[226].

وقرر السلطان المملوكي الناصر فرج أخذ أموال من التجار للنفقة على العساكر وقوبل هذا القرار بالرفض من قبل القضاة، واعتبر القضاة أنه لا يجوز أخذ أموال الناس بالباطل. وتم إرسال الأمير أسنبغا الدواداري لكشف الأخبار، وتجهيز قوات المماليك إلى جهة تيمورلنك. وسار أسنبغا في الخامس من صفر في العام 803هـ/ 1401م، المذكورة على الرسالة.

وشهدت تلك الفترة تخاذل وتقاعس بعض النواب والامراء المماليك في بلاد الشام لاختلاف الكلمة وعدم الاتفاق على رأي[227]. وقد وقف بعض النواب والأعيان وقاموا بتشجيع الناس على القتال، وفي ذلك ما حذر منه المؤيد شيخ الخاصكي نائب طرابلس مخاطباً الأعيان والنواب لرفع معنوياتهم وقد كان ذا رأي سديد، وحذرهم من الخطر الذي يحيط بهم، ومن قوة تيمورلنك وعدته وعتاده و ما يخطط له، وطالبهم بالتحرك والوقوف صفاً واحداً لملاقاة تيمورلنك، وتحصين المدينة من كل جانب والاجتماع خارجها في جانب واحد، للمراقبة والوقوف بالمرصاد له، وطالبهم بحفر الخنادق، وإرسال الرسل إلى الأعراب، والأكراد، والتراكمة، ليتحدوا جميعا في قتاله[228].

224 ملطية: مدينة من بناء الاسكندرية فيه جامعها من بناء الصحابة : انظر البغدادي، ابن عبد الحق. **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. ج3. القاهرة: دار احياء الكتب العربية. 1954م. ص130.

225 ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره** . ص85.

226 ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص85 ؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص131.

227 ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره**. ج12. ص218.

228 ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص46.

ورفض نائب حاكم حلب تمرداش هذا الرأي وثبط الناس عن القتال وأمرهم بعدم الأخذ برأي شيخ الخاصكي[229]، ولم يستمع الحاضرين إلى رأي تمرداش وأجمعوا وإتفقوا على الخروج إلى تيمورلنك إطاعة لنائب طرابلس شيخ الخاصكي، لأنه كان رجل ثقة ويعتمد الحاضرين على رأيه أما نائب حاكم حلب تمرداش فقد كان جاسوسا لتيمورلنك، وقد ذكر المقريزي أن عادته كانت المراوغة[230].

كما ويشير مجموعة من مؤرخي الشام ومصر إلى أن تمرداش نائب حاكم حلب قد تسلم سرا من مبعوث تيمورلنك رسالة تدعوه إلى الإنحياز إليه وتعده بإبقاءه في منصبه في مقابل أن يعتقل سودون[231]، ولكن تمرداش رفض هذا العرض وأطلع سودون على الرسالة ولذلك أمر سودون بقتل موفد تيمورلنك الذي أفاد قبل قتله أن تمرداش هو الذي أطمع تيمورلنك في حلب وحفزه على القدوم إليها من خلال مراسلات جرت بينهما[232].

وقد ذهب المقريزي إلى القول إن الشبهات التي دارت حول إخلاص تمرداش بعد الذي ذكره رسول تيمورلنك أمام الأمراء عن تمرداش قبل قتله للرسول، إنما كان من تنميق تيمورلنك ودهائه ليفرق بذلك بين القوات المملوكية[233]

أما ابن عربشاه فقد وصف تمرداش "بالشاة العابرة، والمرأة الحائرة الغائرة، إذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت في أحدهما جبناً منه ومكراً، بل ينحاز إلى هذا مرة وإلى هذا أخرى مع أنه كان صورة بلا معنى ولفظا بلا فحوى، اعتمد تيمور عليه وفوض الأمور إليه، وكذلك عساكر الشام"[234]، ثم حصن أهل حلب المدينة وقاموا باغلاق أبوابها وتضييق شوارعها وشكلوا مجموعات لتدافع عنها كل في حارته وفتحوا الأبواب التي يتوقع أن يأتي منها تيمورلنك وقواته، وهي باب النصر، وباب الفرج، وباب القناة[235].

---

[229] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص46 .

[230] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص134.

[231] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص134؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032.

[232] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032؛ ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره**. ج12. ص221.

[233] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032.

[234] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص45.

[235] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. . ص46.

وتم في اجتماعات الأمراء التداول في الاجراءات التي ستتخذ للدفاع عن البلد وأهلها واختلفوا في ذلك، فاقترح بعضهم المكوث على أسوار المدينة حتى يصل جيش السلطان المملوكي الناصر فرج من القاهرة[236]، وبعدها أجمعوا على الخروج للتصدي للقوات المغيرة وحفر الخنادق والطلب إلى العشائر التركمانية والأعراب للتصدي لقوات تيمورلنك اعتمادا على جهلها بالبلاد وطبيعة أرضها[237]، ولم يأخذوا بكلامه "لأنه كان بينهم وبينه ثار وهو واقعة أيتمش وتنم"[238].

ثم خرج السلطان الناصر فرج ببقية قواته من غزة في الرابع والعشرين وسار الجميع حتى وصلوا دمشق[239]، وأشار بعض النواب والأمراء والعلماء، بتحصين البلد، وحراسة أسوارها[240]، ومنع تيمورلنك وقواته من الوصول إليها[241]، وأشار نائب حاكم حلب دمرداش لأهل حلب بإخلائها وطلب منهم الرحيل والتوجه حيث أبوا [242]، أما الأمير تمراز أمير الريدانية فقد أخذ في عرض قواته وتجهيزهم بالخيول وطلب المقاتلين من الوجه القبلي والبحري لقتال تيمورلنك، وما نلاحظه أن هناك من النواب والأمراء وكبار الأعيان من قام بمجابهة تيمورلنك على أحسن وجه، وهناك من أدلى بدلوه ضد الدولة والنواب بسبب الأحقاد السياسية التي كان يحملها كل واحد منهم على الآخر.

وهكذا باتت دولة المماليك مهددة بغزو تيمورلنك، وتناقلت الأخبار بزحف تيمورلنك وجيشه نحو الشام، وقد اجتمع بحلب سائر نواب البلاد الشامية، وقاموا بحث السلطان المملوكي الناصر فرج على الخروج بقواته من القاهرة إلى بلاد الشام، ثم اجتمع الأمراء والنواب على قتال تيمورلنك وتهيأ كل منهم للقائه بعد أن يئسوا من مجيء السلطان المملوكي

[236] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ج2. ص134.
[237] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ص86.
[238] ابن تغري بردى.**مصدر سبق ذكره.** ص231.
[239] زيادة. **مصدر سبق ذكره.** ص46.
[240] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ج4 ص45.
[241] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ص46.
[242] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره.** 212.

الناصر فرج وقواته، لعلمهم بعدم اجتماع كلمة أصحاب القرار في دولة المماليك في مصر، ولصغر سن السلطان المملوكي الناصر فرج[243].
وقد وصلت قوات تيمورلنك، والقوات الشامية ما زالت قليلة العدد والعدة، بالنسبة إلى مجموع قوات تيمورلنك وقواته.

وقد كان من الأفضل خروج السلطان الناصر فرج من مصر بقواته ووصوله إلى حلب قبل رحيل تيمورلنك من سيواس، لأن عدم خروج السلطان المملوكي الناصر فرج وأمرائه لملاقاة تيمورلنك، كان يعطي معاني الضعف والهوان، وبالتالي عدم الاهتمام بالمصلحة العامة، وإنعدام ثقة الناس بالسلطان المملوكي الناصر فرج.

وأخذ النواب يعدوا العدة ويجهزوا أنفسهم للقتال، أما تيمورلنك فقد نزل بقواته على قرية جيلان[244]، خارج حلب في يوم الخميس 19- ربيع الأول 803هـ/ 1401م، ووصل بقواته إلى حلب في يوم الجمعة 20- ربيع الأول، وحاصر سورها، وقاوم سكان حلب تيمورلنك وقواته بالمكاحل والنشاب[245].

---

243 ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ج4.ص 46.

244. جيلان: إن بلاد كيلان في وطأة من الأرض يحيط بها أربعة حدود من الشرق اقليم مازندران، ومن الغرب موقان، ومن الجنوب عراق العجم، ومن الشمال بحر طبرستان، ومبانيها من الآجر وبها حمامات يجري إليها الماء من الأنهار وبها المساجد والمدارس وتسمى الخوانق، القلقشندي . **صبح الأعشى في صناعة الإنشا.** ج4. ص380.
245 المقريزي. **السلوك.** ج3. ق2. ص183.

خاتمة الفصل الثاني:

لقد نجح تيمورلنك في الوصول إلى حكم الإمبراطورية المغولية التي أسسها جنكيزخان الزعيم المغولي الأول، فاستطاع أن يلتف على القوانين التي تنص على ضرورة أن يكون حاكم الامبراطورية المغولية من سلالة جنكيزخان، وبدأ حكمه بالغزو والتوسع على حساب جيرانه، فاستباح كل ما كان يجده في طريقه.

واكتفى بالاغارة على المدن وتدميرها وتخريبها وأخذ كل ما يحلو له، والحصول على أكبرقدر من الثروة، والخروج منها دون استقرار، بحيث لا يضع شخصا ينوب عنه في غيبته، ويكمن السبب في ذلك إلى سياسة التوسع والسيطرة والتخويف والترهيب، ومن جهة أخرى عدم استقرار الامور السياسية في إمبراطوريته، حيث كانت تعاني الامبراطورية المغولية من مشاكل ونزاعات داخلية جعلت تيمورلنك يفضل العودة لإخمادها على بقاءه في المدينة التي وصل إليها.

وقد كان لشمال بلاد الشام ومدينة دمشق نصيب من حملة تيمورلنك، وجرت قبل الحملة عدة اتصالات بين تيمورلنك والسلطان المملوكي الظاهر برقوق، ولم يعر السلطان المملوكي تلك الاتصالات والمراسلات أي أهمية، وهو الامر الذي زاد من استفزاز تيمورلنك، وجعله يعجل بالصدام مع المماليك، خاصة بعد وفاة الظاهر برقوق، واستلام السلطان الناصر فرج حكم الدولة المملوكية كونه صغير السن، وبسبب الفتن والمؤامرات التي حصلت بعد وفاة أبيه الظاهر برقوق،وهذا سبب من الأسباب التي جعلت تيمورلنك يختار شمال بلاد الشام ودمشق ليستبيحها ويعيث فيها خرابا، ونهبا.

الفصل الثالث:

حملات تيمورلنك على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق

مقدمة:

كان السلطان الناصر فرج بن برقوق في العاشرة من العمر عند استلامه العرش، خلفا لأبيه في شوال عام 801هـ/ آب 1399م، ولذلك فقد حيكت ضد الدولة المؤامرات وطغت حالة من الفوضى والفلتان والمنازعات، خاصةبين كبار الأمراء وحاشية السلطان الناصر فرج، في الوقت الذي كانت تتوارد فيه الأخبار عن قرب وصول تيمورلنك وقواته إلى حلب ومن أهم تلك الثورات، الثورة التي قام بها الأمير تنم عام 802هـ/ 1400م، في دمشق، مما اضطر السلطان الناصر فرج للخروج على رأس قواته من القاهرة إلى الشام وإخماد الثورة وقتل تنم وبعض أعوانه.

وقد تبع حالة الفوضى تلك قيام السلطان العثماني بايزيد باحتلال ملطية التي كانت جزءا من دولة المماليك قبل وفاة السلطان الظاهر برقوق، وتذرع في حينها السلطان العثماني بايزيد بحالة الفوضى وانتشار الخلافات بين أمراء الدولة المملوكية.

وقد قام تيمورلنك بعقد مراسلات مع السلطان المملوكي الناصر فرج، وطالبه بضرورة اطلاق سراح أطليمش المعتقل لديه، ولكنه لم ينتظر الإجابة منه، ودخل ملطية وحلب وحمص وحماة واستباحها واستباح مدينة دمشق، وغير معالمها وأفقدها رونقها وجمالها، حتى أصبحت سوداء مغبرة بسبب إحراقها من قبل تيمورلنك وقواته وهجران من بقي من سكانها.

أولا: حملات تيمور على شمال بلاد الشام 803هـ / 1401م:

لقد استعرضنا في الفصل الثاني المراسلات والإتصالات التي جرت بين تيمورلنك والسلطان الظاهر برقوق والتي سبقت الغزو التيموري إلى بلاد الشام بعدة سنوات، وبدأت تلك المراسلات في العام 795هـ/ 1392م، واستمرت حتى عام 803هـ/ 1401م، وخاض خلالها السلطان الظاهر برقوق ما يسمى بالحرب النفسية ضد تيمورلنك .

وقبل أن يشن تيمورلنك حملته على بلاد الشام في أوائل عام 803هـ/ 1401م، كلف بعض قادته بالزحف على بغداد، في الوقت الذي كانت فيه مدينة بغداد تشهد ثورة نشبت ضد أحمد بن أويس نظرا لسوء إدارته، وإسرافه في قتل عدد كبير من أتباعه في المدينة مما اضطره إلى الفرار منها لطلب المساعدة من قرا يوسف التركماني[230]، وتزامن هذا مع وصول تيمورلنك إلى سيواس على رأس قواته، ولم يجد أحمد بن أويس وقرا يوسف التركماني بعد أن أدركا خطورة العودة إلى بغداد سوى الفرار في اتجاه الشام، وكان أحمد بن أويس قد طلب اللجوء إلى السلطان العثماني بايزيد الأول خصم تيمورلنك، ورفض بايزيد الطلب[231]، فيما رحب السلطان المملوكي الظاهر برقوق به.

وزحف تيمور من سيواس بعد أن نهبها إلى ملطية فاستولى عليها ثم نزل على بهسنا ثم عينتاب فأحرق ضياعها وقتل معظم سكانها، وذلك في محرم من سنة 803هـ/ 1401م ومنها اتجه إلى حلب فهاجم أسوارها في أوائل ربيع الأول سنة 803هـ أواخر أكتوبر 1401م، على رأس جيش بالغ بعض المؤرخين في عدده حيث قدر بأنه قارب الألف ألف رجل [232]، فيما قدر البعض عدد القوات المغيرة بثمانمائة ألف مقاتل[233]، لكنه في الحقيقة

---

[230] المقريزي. **السلوك.** ج2. ق2. ص334؛ ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ج1. ص719.

[231] ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره.** ص215.

[232] ابن خلدون. **التعريف.** ص383. .

[233] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره.** ص210.

تجاوز المائة ألف كما ذكر بعض المؤرخين الذين كانوا حاضرين في تلك الفترة وكتبوا عنها[234].

وحدد تيمورلنك أهداف حملته على المماليك في رسالة بعث بها من معسكره في بهسنا إلى نائب دمشق سودون وإلى المشايخ والقضاة والأعيان الذين اجتمعوا في حلب وطالبهم بالخضوع له، مدعيا أن الخليفة العباسي قد أقره على ما بيده[235].
ويقول ابن إياس إن الرسالة كانت مليئة بعبارات التهديد والوعيد[236]، ولذلك أمر سودون بقتل الرسول، ولم يلتفت إلى ما جاء فيها[237].

وأخذ يحصن سور المدينة، ودعا سكان حلب للاشتراك مع القوات الشامية في عمليات المقاومة[238]، ونصبت المجانيق والمكاحل والمقاتلين على الأسوار[239]، وأغلقت الأبواب وتولى أبناء كل حي من أحياء المدينة مهمة الدفاع عنه[240].

وكان هناك اقتراح آخر أكثر حذرا قدمه بعض المماليك بالصمود أمام الحصار ببساطة وعدم المسارعة بالقتال والاستهانة بمقابلة قوات تيمورلنك[241]، إلا أن نصائحهم لم يستمع لها أحد، حيث نظر إليهم بعين الشك، لأن تيمورلنك قام بسحب جيش المماليك للخارج بكل ما وسعه ليبين أن جيشه لن يقوم بحصار المدينة وبالتالي الضغط عليها، وقام رجاله بحفر خنادق حول خيمته، وقاموا بنصب أستار من جلود الثيران المدبوغة، وكأنهم هم المحاصرين[242].

---

[234] والتر، فيشل. **لقاء ابن خلدون لتيمورلنك**. ترجمة: محمد توفيق.بيروت:مكتبة الحياة.1951م .ص85.

[235] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص85 ؛ ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص133.

[236] ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص326.

[237] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1031؛ ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص86.

[238] السخاوي. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص47.

[239] ابن اياس. **المصدر السابق**. ج1. ص326.

[240] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص88.

[241] ابن الصيرفي. **مصدر سبق ذكره**. ص91.

[242] ابن الصيرفي. **المصدر السابق**. ص92.

وعلى الرغم مما اتخذ من تدابير للاستعداد والدفاع، إلا أن الروح المعنوية كانت منخفضة حتى أن بعض السكان قام بحمل أمتعته[243]، والفرار من المدينة إلى القرى المجاورة وارتفعت أسعار الحمير والبغال[244]، التي كان يركبها الناس ويحملون عليها أمتعتهم، وقد كانت أخبار ما قام به تيمورلنك وقواته من أعمال في البلاد الأخرى قد سبقت وصول تيمورلنك وقواته إلى بلاد الشام[245]، وهذا ما أدى إلى استعجال الناس وخوفهم والفرار من المدينة.

وكان المماليك قد ارتكبوا خطأً فادحاً عندما قاموا بقتل الرسل، فالرسل على مدار التاريخ يجب أن لا تمس. حيث كان السلطان المملوكي الناصر فرج وقواته يعتقدون بأنهم يستطيعون مقاومة تيمورلنك وقواته الغازية، لعجزهم عن كشف أخبار جيوشه، وتقدير مبلغ قوته.

ولما بلغ تيمورلنك ما فعل الحلبيون برسله[246]، توجه إلى قرية جيلان، وأحاط بمدينة حلب ونهب ما حولها من الضياع. أما أهل حلب والمماليك فقد خرجوا ومعهم الجند والنواب والقواد حتى النساء والصبيان. واحتشد المماليك تحت قيادة الأمير سودون وشكلت ميمنة الجيش، أما قوات حلب فقد وضعت تحت قيادة تيمورطاش، وشكلت ميسرة الجيش ووضعت قوات المشاة الشامية في قلب الجيش، وربما تم التخطيط حتى يتسنى لهم محاصرة جيش تيمورلنك من خلال التفاف الجناحين، وكانت ميمنة تيمورلنك تحت قيادة ابنه شاه رخ بينما كانت ميسرته تحت قيادة اثنين من أحفاده[247].

وكان جيش تيمورلنك مزودا بالفيلة التي وضعت تحت إمرته المباشرة، ووضع قوة احتياطية من الفرسان في مؤخرة جيشه، واندفعت ميمنة تيمورلنك للأمام أولاً للاشتباك مع ميسرة المماليك، واستمرت في تقدمها، إلى أن قام تيمورلنك بإطلاق الأفيال ضدهم ما جعل

---

[243] ابن حجر. **المصدر السابق.** ج2. ص134؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1033.
[244] ابن حجر. **المصدر السابق**. ج2. ص134.
[245] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص452.
[246] ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص326.
[247] واترسون. **مصدر سبق ذكره**. ص343؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032.

المماليك يلوذوا بالفرار، ولم يمكث المماليك في المعركة إلا ساعة واحدة[248]، وهرعوا باتجاه أسوار حلب، وأدى فرارهم إلى حدوث فزع في الجيش المملوكي بأكمله.

كما تفككت قوات دمشق وفرت جنوبا، وألقى الجنود ما كان معهم من أسلحة ولباس، تخفيفا وتسهيلا لسرعة الجري، وحدث ازدحام عند أبواب المدينة، ومات كثير من الناس بسبب هذا الازدحام، وتكدست جثث القتلى أمام الأبواب ولم تتمكن حاميات المماليك من إغلاق هذه الأبواب لذلك فقد تمكنت قوات تيمورلنك من دخول المدينة، وأخذت تقتل وتأسر واحتمى الأمراء المماليك بالقلعة، ودخلت معهم إليها أعداد كبيرة من السكان ثم أغلقت أبوابها وسحب من بقي من الأمراء خارج القلعة بالحبال، واضطر بعضهم للاختباء في الخندق المحيط بها[249].

وقد هاجم جيش تيمورلنك القوات المملوكية فدهمتهم جنوده كأمواج البحر الهائجة، وولوا مدبرين إلى المدينة، وداست حوافر الخيل على أجسادهم[250].

ويصف لنا لاترسون نقلا عن نظام الدين شامي وهو مؤرخ تيمورلنك بأن جثث القتلى من أهالي حلب أصبحت أكواما مكدسة فوق بعضها بعضا لدرجة أن شوارع مدينة حلب قد اكتظت بها، وذلك بسبب أن عساكر تيمور قد داسوا عليهم بحوافر خيولهم عند عبورهم للمدينة[251].

واستعمل تيمورلنك الدهاء والدبلوماسية مع خطواته الحربية إذ عمل على بث الفرقة في صفوف المماليك في الشام فأرسل سفيراً من قبله إلى الأمير دمرداش المحمدي نائب حلب يعده باستمراره في نيابته ويطلب منه في الوقت نفسه القبض على سودون نائب دمشق لأنه قتل سفير تيمورلنك الذي توجه إليه من قبل[252].

---

[248] ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره**. ص89؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032.

[249] ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره**. ص89 ؛ المقريزي. **السلوك**.ج3.ق2.ص1033.

[250] لامب. هارولد. **تيمورلنك**. ترجمة: عمر أبو النصر. لبنان: المطبعة الوطنية. 1934. ص118- 119.

[251] واترسون . **مصدر سبق ذكره**. ص343.

[252] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص134؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. ص1032.

وأخبر سفير تيمورلنك الأمراء الذين قدموا من سائر أنحاء البلاد الشامية، أن تيمورلنك لم يأت إلى البلاد إلا عندما كتب إليه دمرداش يستدعيه أن ينزل إلى حلب وأعلمه أن البلاد لم يبقَ بها أحد يدافع عنها، فغضب منه دمرداش وأمر بضرب عنقه. ويبدو أن دمرداش كان يعتقد أن قوات المماليك قادرة على الوقوف في وجه تيمورلنك ومنعه من مواصلة غزو الشام، وهذا دليل على سوء تقدير أمراء المماليك لقوات تيمورلنك وعدم إدراكهم لحالة التفكك التي سادت الجيش المملوكي في عهد الناصر فرج من ناحية أخرى[253] .

واقتحمت قوات تيمورلنك مدينة حلب في 11- ربيع الأول من العام 803هـ/ 2- نوفمبر 1401م، وأشعلت النيران فيها وأخذت قوات تيمورلنك في الأسر والنهب، ودخلت تلك القوات المساجد وأخذت تنكل بمن احتمى بها، وكان غالبيتهم من النساء والأطفال ويقدم المؤرخين بعض من صور التنكيل التي أنزلتها قوات تيمورلنك، حيث أسرفوا في قتل النساء والأطفال، وأسرت النساء، وارتكبت الفاحشة، وقتل السكان دون تمييز حتى امتلأت المساجد والطرقات بالقتلى[254].

وقال بعض من حضر حملة تيمور على شمال بلاد الشام بأن تيمورلنك عرض الأسرى من بلاد الشام وضواحيها فكانوا ثلاثة ألآف أسير وأسيرة[255]، كما أسرت قوات تيمورلنك الأمراء والمماليك الذين إجتمعوا بقلعة المدينة فأمر تيمورلنك بحبسهم ومعهم نائب حلب دمرداش[256].

وشرع تيمورلنك وجيشه بهتك الأعراض وعمليات إغتصاب كانت تقوم بها قواته في المسجد علناً، "فصارت الأبكار تفتض من غير تستر، والمخدرات يفسق فيهن من غير احتشام، بل يأخذ الواحد المرأة الحلبية ويعلوها في المسجد وبحضرة عدد كبيرمن أصحابه

[253] ابن حجر. مصدر سبق ذكره. ص192- ص193؛ ابن تغري بردى. مصدر سبق ذكره. ص220.

[254] المقريزي.السلوك.ج3.ق3.ص1033؛ ابن عربشاه.مصدر سبق ذكره.ص89.

[255] لامب. مصدر سبق ذكره. ص119- 120.

[256] وإتهم دمرداش بموافقة تيمورلنك في الباطن واعتبر خائنا، ابن عربشاه.مصدر سبق ذكره. ج4. ص92.

ومن أهل حلب، على مرأى من أقربائها من أب أوأخ أو زوج، ولا يستطيع أن يدافع عنها لقلة حيلته، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها الآخر وهي مكشوفة العورة"[257].

وأضرمت النيران في أرجاء المدينة[258]، وقطعت الأشجار وهدمت البيوت، وتكدست الجثث في الطرقات والمساجد[259]، فضلا عن قيام تيمورلنك وقواته بإحراق وطمس معالم سوق حلب التجاري[260]، الذي يعتبر بأنه أحد الأسواق التجارية الهامة التي كانت تصل عن طريقه بضائع الشرق إلى أوروبا[261].

واستمر القتل والتنكيل بالسكان، وحاصرتها قوات تيمورلنك من عدة أماكن وردم خندقها فتشاور الأمراء والنواب والأعيان الذين في القلعة فأجمعوا على طلب الأمان، فأرسلوا لتيمورلنك بذلك، فطلب تيمور نزول بعض النواب إليه، فنزل إليه دمرداش نائب حلب فخلع عليه وأعطاه أمانا إلى النواب، وأرسل معه مجموعة من أصحابه إلى قلعة حلب فوصلوا إليه وأخرجوا النواب منها بمن معهم من الأمراء والأعيان [262].

ووضعوا كل اثنين في قيد، وأحضروا الجميع إلى تيمورلنك وأوقفوا بين يديه، فنظر إليهم طويلاً وهم وقوف بين يديه ومعهم سودون نائب حلب، وتم تعذيبهم والتنكيل بهم، ثم سيقت نساء حلب سبايا وأحضرت إليه الأموال والجواهر ففرقها على أمرائه واستمر النهب والسبي والقتل خمسة عشر يوما، لدور المدينة وقصورها وأسواقها[263].

---

[257] ابن حجر. **مصدرسبق ذكره**. ج2. ص135؛ ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج12. ص223.

[258] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1033.

[259] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص135.

[260] السخاوي. **الضوء اللامع**. ج2. ص47.

[261] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1034؛ ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص89.

[262] ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره**. ج12. 224؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1033.

[263] ابن حجر. **المصدر السابق**. ج2. 134.

وقام تيمورلنك بعمل بشع تقشعر له الأبدان ألا وهو وضع رؤوس السكان على شكل هرم[264]، ويعود السبب في ذلك إلى رغبة أحد أقرباء رسول تيمورلنك الذي قتلته السلطات المملوكية قبل الإغارة على المدينة، فقد طلب هذا الشخص من تيمورلنك أن يمكنه من الإنتقام لقريبه ولذلك اختار من أهالي حلب عددا ليفعل بهم ما يراه مناسبا فقتل مجموعة منهم[265]، وبنى من رؤوس القتلى من أهالي حلب برجاً عظيماً وجعلها للأعلى[266].

وبعد نهب كنوز المدينة قامت قوات تيمورلنك بالهدم فيها ثم أشعلت النيران حتى أصبحت حلب موحشة مظلمة، وخصص دار النيابة (مقر تمرداش نائب حلب) لإقامته، وتحدث ابن الشحنة عن مأدبة أقامها تيمورلنك لأمرائه في تلك الدار واحتفلوا وفقا لما هو متعارف عليه عند المغول[267]، وغادر تيمورلنك وقواته مدينة حلب بعد أن أقاموا فيها شهرا[268]، وتركوها خالية من سكانها، وتعطلت من الآذان والصلوات وأصبحت خرابا مظلمة بالحريق موحشة، لا يسكنها إلا بعض الحيوانات[269].

وكان تيمورلنك قد أرسل ابنه ميرانشاه ليستولي على حماة في 14ربيع الأول سنة 803هـ/ 5 نوفمبر 1401م، وقوبل بالمقاومة من قبل السكان، بعد أن توزع السكان على سور المدينة، وامتنعوا عن تسليمها.

وقد قام ابن تيمورلنك ميرانشاه بمخادعتهم ففتحوا له بابا من أبوابها ونادى بالأمان فقدم الناس عليه وقدموا له أنواع الطعام، ووضع رجلاً من أصحابه ليدير شؤونها، واستطاع أن يحتل الضواحي، وفعل فيها مثلما فعل والده في حلب، وقد أحاطت قواته بها من جميع

[264] ابن عربشاه. مصدر سبق ذكره. ص89.
[265] ابن عربشاه. مصدر سبق ذكره. ص89.
[266] ابن حجر. مصدر سبق ذكره. ج2. ص135؛ ابن تغري بردى. مصدر سبق ذكره. ج12. ص225.
[283] ابن الشحنة. مصدر سبق ذكره. ص220 -221
[268] ابن حجر. مصدر سبق ذكره. ج2. ص135.
[269] ابن تغري بردى. المصدر السابق. ج12. ص225.

جهاتها وقام بالنهب والسلب والسبى للنساء والأطفال، وأسر الرجال، واستمرت تلك القوات تفعل بالنساء والأبكار تلك الأفعال القبيحة التي هتك فيها الأعراض[270].

ثم رحل عنها يوم الخميس 9/ ربيع الأول- 803هـ[271]، فلما كانت ليلة الجمعة 10/ ربيع الأول – 1401م، نزل أهل القلعة وقتلوا من أصحاب ميرانشاه، رجلين كان أقرهما بالمدينة، فلما بلغ ذلك ابن تيمورلنك، رجع إليها واقتحم البلد وأشعل النار بها، وأخذ أصحابه يقتلون ويأسرون وينهبون حتى صارت كمدينة حلب، وقد سأل ميرانشاه ابن تيمورلنك قضاة حلب لما صارا في أسره عن قتاله، ومن الشهيد من العسكرين؟ فأجاب محب الدين محمد الحنفي بأن قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا، فقال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد فأعجبه ذلك[272]، وعفا تيمور عن حمص إحتراما لقبر خالد بن الوليد، في حين نهب بعلبك رغم طلب أهلها الصلح والأمان ووصلت فرسان تيمورلنك حتى ساحل البحر المتوسط حيث نهبت صيدا وبيروت[273].

وفي نهاية حملة تيمورلنك على شمال بلاد الشام وقبل وصوله إلى دمشق، اختفى من الأمراء والمماليك جماعة، منهم الأمير سودون، والأمير قاني باي، ويشبك العثماني من الخاصكية، وقمج الحافظي، ويرسبغا الدوادار، وطرباي، وعلم السلطان المملوكي الناصر فرج أنهم توجهوا إلى مصر، فلحق بهم ليجاملهم، وعندما علم الناس بالخبر باع كل واحد ما عنده، واستعد للهروب من مصر، وبعدها قدم السلطان الناصر فرج إلى قلعة الجبل ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونحو الألف من المماليك، ونائب دمشق، ونائب غزة، وهم في أصعب حال، وقد ذهبت أموالهم وخيولهم وأسلحتهم، وسائر ما كان معهم، ويعلق المقريزي على ذلك ويقول:"شوهد الكثير من المماليك لما قدموا وهم عريان"[274].

---

[270] ابن تغري بردى. **المصدر السابق**. ج12. ص225.

[271]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. ص1044..

[272] ابن الصيرفي. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص378.

[273] ابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره**. ج12. ص226؛ ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**.ج1.ق2 ص600- 601.

[274] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق2. ص1045-1046.

ووصل تيمورلنك إلى قطنا (من قرى دمشق)، وتقدمت مجموعة منهم إلى القوات المملوكية وقاتلوهم، ووقعت معركة بين الطرفين، هزمت ميسرة القوات التيمورية، ورجع العسكر المملوكي إلى ناحية حوران، وجرح جماعة منهم، وأخذ تيمورلنك يضع خطة محكمة ليستولي بها على دمشق، ولكن القوات المملوكية قاومته ومنعته من التقدم[275].

---

[275] المقريزي. السلوك.ج3.ق2. ص1040- ص1041.

`ثانيا: حصار دمشق:

كانت أخبار ما يقوم به تيمورلنك من أعمال تصل إلى مسامع سكان دمشق منذ وصول تيمورلنك إلى بغداد 795هـ/ 1393م، وكانت هذه الأخبار تحدث عند هؤلاء السكان الذعر والخوف.

وكان الناس يتوقعون أن يغير تيمورلنك على دمشق بين وقت وآخر، وكانوا يسترجعون ذكريات الغارات التي شنها الإيلخانيون على المدينة، قبل نيف وقرن من الزمن، والتي كان آخرها غارة السلطان محمود غازان عام 699هـ/ 1300م[276].

وقد وصلت أخبار سقوط حلب دمشق بعد دخول تيمورلنك حلب بأربعة أيام، وأمرت السلطات المملوكية في المدينة سكان الضواحي بسرعة الانتقال إلى المدينة من أجل الإحتماء بأسوارها، فبدأت جماعات من الضواحي المحيطة بدمشق الوصول إليها[277].

وقد انطلق تيمور من بعلبك، وتقدم في سهل البقاع باتجاه دمشق التي اتخذت عدداً من الإجراءات للدفاع عن المدينة، فوزعت القوات المملوكية على أبواب المدينة، وحملت الأطعمة والتجهيزات إلى القلعة ونصبت المجانيق على الأسوار وأقبل السكان للتطوع للاشتراك في الدفاع عن البلد، ووصلت قوات تيمورلنك إلى قطنا إحدى ضواحي دمشق، وأخذت تستعد لاقتحام المدينة[278].

في حين قام بعض السكان بدمشق بمغادرة المدينة خفية، واتجه بعضهم إلى الجبال أو إلى المناطق الوعرة في جنوب دمشق، ومنهم من وصل إلى القدس، كما تابع بعض السكان التقدم حتى وصل إلى مصر، واطمأن من بقي من سكان المدينة، إلى ما كان يشاع عن قرب وصول السلطان الناصر فرج وقواته وتحركهم من مصر نحو بلاد الشام[279].

---

[276] ابن صصرى. **مصدر سبق ذكره**. ص140- 145.
[277] ابن قاضي شهبة. **مصدر سبق ذكره**. ص202.
[278] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص95 ؛ حطيط، **مصدر سبق ذكره**. ص112.
[279]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص95.

وكانت هذه مجرد إشاعات واتضح لسكان دمشق أن السلطان الناصر فرج ما زال يمكث في القاهرة، وأنه يوجد في دمشق سلطتان تعملان عكس بعضهما، السلطة الأولى هي السلطة الإدارية المتمثلة بنائب الغيبة، والتي كانت تؤمن بعدم جدوى المقاومة فأخذت تدعو لعدم إشهار السلاح وضرورة تسليم البلد بالأمان، والسلطة العسكرية المتمثلة بنائب القلعة، الذي بعث من ينادي بالإستعداد للقتال، وأن من لا يملك سلاحا فليأت إلى القلعة لإستلام سلاحه[280].

وطلب نائب القلعة من السكان الذين يقطنون بجوار القلعة إخلاء منازلهم ، ثم أمر بحرق هذه المنازل شرقا حتى المدرسة العادلية، وشمالا حتى درب ما بين السورين[281]، وهو الزقاق الممتد ما بين محلتي المناخلية والحرة الحاليتين ودعي بهذا الاسم لوقوعه بين السور الأيوبي والسور الروماني[282].

وكان تيمورلنك يسعى إلى إحداث بلبلة في دمشق من أجل التشويش على السكان برسائل التهديد التي أخذ يرسلها إلى هناك، وبالأخبار التي عمل على ترويجها في المدينة وهو في طريقه من حلب، وقد قام تيمورلنك بزرع جواسيسه في مدينة دمشق حتى تقوم بالتشويش على سكانها وإضعاف الروح المعنوية، وقد ذكر ابن تغري بردى عن قيام بعض من قوات تيمورلنك بالإنضمام إلى القوات المملوكية[283].

وقام تيمورلنك بإرسال رسائل التهديد إلى القضاة والأئمة في دمشق في 15- صفر- 803هـ / 6- تشرين الاول- 1401م، طالب فيها بإطلاق أطليمش، وأن تكون الخطبة والسكة بإسمه[284]، وحدد مدة أربعين يوما ليصل رد القضاة والأئمة إليه[285].

---

[280]. ابن قاضي شهبة. **مصدر سبق ذكره**. ص202

[281]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص104.

[282]. النعيمي. **مصدر سبق ذكره**. ص102.

[283]. ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص233.

[284]. ابن قاضي شهبة. **مصدر سبق ذكره**. ص203.

[285]. ابن تغري بردى. **المصدر السابق**. ج12. ص234.

وبعث تيمورلنك رسالة أخرى أرسلها مع أحد الأمراء المماليك وكان في أسر تيمورلنك، ووصلت الرسالة الثانية دمشق في 21 - ربيع الاول- 803هـ 10- تشرين الثاني- 1401م، وكان يستعجل فيها جواب رسالته الأولى[286]، وواصل تيمور زحفه إلى دمشق، وأرسل إلى نائب الغيبة[287] يدعوه للإستسلام، وكان السلطان الناصر فرج قد ترك في نيابة الغيبة تمراز الناصري ومعه الخليفة والقضاة وجماعة من العلماء والمشايخ، ولم يأبه هؤلاء لرسائل تيمورلنك وأخذوا يبذلون المساعي لتعبئة العامة وإعدادهم للقتال،[288] وخرجوا من دار العدل ووقفوا عند أحد أبواب دمشق ويدعى باب النصر[289].

وأرسل السلطان المملوكي الناصر فرج إلى السلطات المملوكية في دمشق في 28 ربيع الأول/ 17 تشرين الثاني، رسالة بعثها إلى قوات دمشق بالاستعداد لقتال تيمورلنك وقواته ثم طلب السلطان الناصر فرج برسالة ثانية أرسلها في 7صفر- 802/ 28 أيلول-1400 ولا تختلف عن الرسالة الأولى في مضمونها، حيث طالب فيها بتأهب العساكر مع القوات القادمة من مصر وحث الناس على الجهاد، ونودي بذلك في جامع بني أمية[290].

وخرج السلطان الناصر فرج وقواته قاصداً دمشق لقتال تيمورلنك، ولما وصل السلطان الناصر فرج مدينة غزة[291]، أصدر أوامره بتعيين نواب جدد على الشام بعد وقوع النواب السابقون في قبضة تيمورلنك، وأوكل نيابة دمشق للأمير تغري بردى والد المؤرخ أبي المحاسن بن تغري بردى، واقترح تغري بردى على السلطان الناصر فرج خطة عامة لقتال تيمورلنك[292]، فطالب من السلطان المملوكي الناصر فرج بالبقاء في غزة، وأن

---

[286]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1035.

[287] نائب الغيبة: هو نائب السلطان، وله التصرف في الحكم في حال غياب السلطان، القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4. ص17.

السخاوي، شمس الدين محمد. **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**.بيروت: مؤسسة الرسالة. 1995م. [288]ص353

[289] ابن تغري بردى.**مصدر سبق ذكره**. ج12. ص227.

[290] ابن تغري بردى.**مصدر سبق ذكره**. ج12. ص228.

292 المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1041 ويقدم ابن اياس تاريخ وصول السلطان إلى ضواحي دمشق يومين ويجعله في السادس من جمادي الأولى 24 كانون الاول. وقال انه نزل في القصر الأبلق غرب دمشق وكان اليوم هو الخميس وصلى الجمعة في اليوم التالي في مسجد بني أمية، انظر(ابن اياس .ج1. ص319).اما ابن عربشاه فيجعل وصول السلطان فرج في 10 ربيع الأخر ابن عربشاه. **عجائب المقدور**. ص98).

يتوجه الأمير تغري بردى إلى دمشق ليتولى تحصينها ويرفع من معنويات سكانها ويحثهم على القتال[293].

وقد كان تغري بردى طلب من السلطان الناصر فرج البقاء في غزة، من أجل محاصرة تيمورلنك وقواته وايقاعه في كمين بين قوة تحيط به من الشمال (دمشق) ومن الجنوب (غزة)، وبالتالي يضطر للعودة من حيث أتى لجهله وقواته، بطبيعة البلاد، وقلة الإمدادات لديهم[294]، ولكن الأمراء المقربين من السلطان المملوكي الناصر فرج رفضوا الخطة لعدم ثقتهم بنوايا الأمير ابن تغري بردى اتجاه السلطان الناصر فرج[295].

ووصل الجيش المملوكي إلى دمشق في 6 جمادي الأولى- 24 كانون الأول، وقد استقبلهم أهل دمشق بالصراخ والبكاء والدعوة إلى الله أن يحقق النصر، ونقل المؤرخ ابن عربشاه بعض هتافات العامة من سكان دمشق " ياالله يا رحمن انصر مولانا السلطان"[296]

أما السلطان الناصر فرج ومعه جزء من جيشه، وصل دمشق وأقام مخيمه في قبة يلبغا[297] جنوب دمشق[298]. وقد بدأ تيمورلنك بمحاصرة القلعة منذ اليوم الأول لدخوله هو وقواته مدينة دمشق[299]، في 27 جمادي الأولى- 14 كانون الثاني، وكانت القوات التيمورية قد دخلت مدينة دمشق بالتدرج من أجل إثارة الخوف عند الأهالي[300].
وذكر ابن اياس بدخول قوات تيمورلنك على دفعات حتى امتلأت المدينة بهم ثم حاصروا القلعة[301].

---

[292]. ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره.** ص98 ؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1040 – ص1041.
[293]. ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص228.
310 ابن تغري بردى. **المصدر السابق**. ج12.ص228 –229
[295]. . ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12.ص228 –229.
[296]. ابن عربشاه.**المصدر السابق**. ص98.
[297] قبة يلبغا:تقع جنوب سور دمشق، بناها الأمير يلبغا نائب دمشق عام 747هـ انظر:ابن طولون.أعلام الورى.ص44.
[298] وابن اياس. **مصدر سبق ذكره**.ج1. ص319
[299] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1049؛ ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص243.
[300] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص104.
[301]. ابن اياس.**المصدر السابق**. ج1. ص332

وكان تيمورلنك وقواته قد واصلوا التقدم من سهل البقاع باتجاه دمشق، ومن ثم أمر بمواجهة دمشق فسقطت القلعة بعد حصار شهر، ثم أمر بدك الحصن وتسويته بالأرض[302]، وقام تيمورلنك بعقد إجتماع في المكان الذي أقام فيه داخل القلعة، ضم القادة العسكريين والمهندسين، تدارسوا فيه طريق قطع الماء عن القلعة المحاصرة، واستدعى تيمورلنك إليه العلماء والوجهاء وسألهم عن حقيقة وجود ممر تحت الأرض يؤدي إلى القلعة، ولما نفى هؤلاء علمهم بذلك هددهم باجتياح المدينة وتخريبها، معللا السبب في ذلك بعدم استطاعته ايقاف قواته، وأمهلهم مدة ثلاثة أيام ليقدموا معلومات عن ذلك الممر[303].

وحصل أول إحتكاك مسلح بين الفريقين في 8 جمادى الأولى 803هـ / 26 كانون الأول 1401م، أي بعد وصول السلطان المملوكي الناصر فرج وقواته بيومين[304]، وعندها تقدم ألف مقاتل من قوات تيمورلنك يريدون الإغارة على معسكر السلطان المملوكي الناصر فرج، فتصدى لهم مائة من مقاتلي المماليك بعد أن أسروا عددا منهم[305].

ولا تتوفر معلومات واضحة لدى المؤرخين عن القتال في الفترة الممتدة بين تاريخ أول إشتباك بين الطرفين في 8 جمادي الأولى 803هـ/ 19 كانون الثاني 1401م، وتاريخ انسحاب السلطان المملوكي فرج في 20 جمادي الأولى 803هـ/ 7 كانون الثاني 1401م، عائدا إلى مصر، ويتحدث هؤلاء المؤرخون عن هذه المرحلة حديثا عاما دون أن يتعرضوا للتفصيلات، فكلا الطرفين أخذ يستعد ويحفر الخنادق ويسد على الآخر[306].

وكان ابن خلدون الذي قدم مع السلطان من القاهرة وكان يقيم في ذلك الوقت في المدرسة العادلية[307]، ذكر أن القوات التيمورية اشتبكت مع القوات المملوكية من ثلاث إلى أربع

---

[302] ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص241-242.
[303] ابن خلدون . **التعريف**. ص373- 374.
[304] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص136؛ وابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص99.
[305] ابن حجر.**مصدر سبق ذكره**.ج2. ص136.
[306] ابن عربشاه. مصدر سبق ذكره. ص98؛ ابن حجر. مصدر سبق ذكره. ج2. ص137.
[307] **المدرسة العادلية بناها الملك العادل الأيوبي 612هـ أتمها ابنه الملك المعظم ،انظر: ابن خلدون. التعريف. ص367.**

مرات[308]، وحصل تبادل في الرسائل بين الجانبين كرر فيها تيمورلنك طلبه بإطلاق سراح أطليمش على أن يطلق هو ما عنده من أسرى المماليك[309]

وكان من أهم الأحداث التي حصلت في تلك الفترة لجوء أحد أحفاد تيمورلنك إلى المماليك وقدم إلى دمشق في 13 جمادي الأولى 803هـ/ 31كانون الأول 1401م، ووصفته المصادر بأنه شاب حسن الشكل كان يضع تاجا على رأسه[310]، واتضح فيما بعد أنه ابن بنت تيمورلنك ويدعى سلطان حسين بهادور وأحسنت سلطات المدينة استقباله مع حاشيته التي كانت ترافقه ونزل بدار الضيافة بدمشق[311]، ووصفته المصادر بأنه كان شابا شجاعا[312]، وتردد في دمشق أن الشاب اللاجىء كان قائد الميسرة في جيش تيمورلنك، وقدم معلومات مفيدة عن قوات تيمورلنك المغيرة[313].

ومن الواضح أن لجوء سلطان حسين كان سببا في تقدم تيمورلنك بقواته من مواقعها إلى قرية تدعى داريا وهي قريبة جدا من دمشق[314].ويبدو أنه كان جاسوسا عند تيمورلنك وقد أرسله إلى دمشق من أجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات التي تساعد تيمورلنك وقواته في الوصول إلى دمشق بطريقة سهلة وميسرة، وأشار سلطان حسين للمماليك بأن تيمورلنك يعاني من ضعف في قواته وسوء وضعها وأنه على وشك الرحيل والعودة إلى بلاده[315].

ولهذا فإن وصول سلطان حسين حفيد تيمورلنك ما هي إلا مؤامرة خطط لها تيمورلنك وحفيده من أجل الإنقضاض على القوات المملوكية وسكان دمشق[316].

---

[308].ابن خلدون. **التعريف**. ص367 .

[309]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1044 ؛ ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص137.

[310]. ابن قاضي شهبة.**مصدر سبق ذكره**. ص204؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1042.

[311]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1042.

[312]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص100.

[313]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1042.

[314]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص100

[315]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص100.

[316]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص100.

وقد أرسل تيمورلنك رسله لطلب الصلح مرارا وتكرارا من السلطان المملوكي الناصر فرج الذي رفض طلبه، لأن المماليك كانوا لا يأمنون إلى تيمورلنك وخداعه ومكره[317].

وادعى تيمورلنك على لسان خمسة من جواسيسه الذين وصلوا طرابلس بأن نصف جيشه عازم على الدخول في طاعة السلطان المملوكي الناصر فرج، وأن ملك قبرص سيقدم المساعدة للسلطان الناصر فرج. وأشاع تيمورلنك أيضا برحيله عن دمشق[318].

وأما السلطان الناصرفرج فإنه خرج في يوم الجمعة 21جمادي الأولى 803هـ - 8 كانون الثاني 1401م، ومعه جماعة من الأمراء وتفرقوا في دروب دمشق، ولما علم تيمورلنك وجيشه بهذه التحركات، أحكموا حصارهم على المدينة وانتشروا في المناطق المحيطة بها لمنع السلطان المملوكي من الإفلات ولكنه استطاع اللجوء عبر قبة اليسار[319]، وقد انسحب السلطان المملوكي الناصر فرج وبعض من قواته وتركوا أهل دمشق يواجهوا مصيرهم لوحدهم.

ولم تلبث قوات تيمور أن تقدمت إلى القبة واحتلتها ونزل تيمورلنك في مخيم السلطان الناصر فرج، وانهمك الجنود بحفر الخنادق لملاحقة السلطان المملوكي المنسحب وأمرائه الذين لحقوا به[320].

ومن الواضح أن انسحاب السلطان الناصر فرج، قد تم بصورة مفاجئة وسرية ويعود ذلك الإنسحاب لعدة أسباب، منها الخلافات التي اشتدت في تلك الأثناء بين الأمراء المماليك وخاصة في أثناء انسحاب بعضهم وعودته إلى مصر، وادعاء من بقي مع السلطان المملوكي الناصر فرج في دمشق إلى الظن بأن المنسحبين كانوا يعملون سرا على خلع السلطان الناصر فرج وتحويل العرش إلى أحد الأمراء المماليك وهو الأمير لاجين

---

317 المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1042.

318 المقريزي. **الخطط**. ج3. ص421؛ ابن تغري بردى. **النجوم الزاهرة**. ج12. ص235.

319 المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1045.

320 ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص100- 101.

الشركسي[321]، في محاولة منهم لتعيين رجل كفؤ يستطيع أن يقف في وجه تيمورلنك وقواته، ويتمكن من صدهم، ولما علم بقية الأمراء بعودة هؤلاء إلى القاهرة، حصل الاضطراب والفوضى بين قوات المماليك وطلب الأمراء من السلطان الناصر فرج بضرورة الانسحاب[322].

وقام السلطان الناصر فرج بعد انسحابه بإرسال رسالة إلى تيمورلنك يعلمه أن إنسحابه ليس عجزا أو فرارا ولكنه تأديب لبعض مماليك السلطان[323]، وأكد له بأنه سيعود إليه بمجرد انتهاء مهمته وتسوية أمور دولته السياسية.

وعلى الرغم من اصدار تيمورلنك أوامره لقواته بتعقب السلطان الناصر فرج ومنعه من العودة إلى مصر، فإنه استطاع الوصول من صفد ومنها إلى مصر، ولكن أعدادا من جند المماليك تبعتها قوات تيمورلنك، حيث داست عليها الفيلة [324].

ولما علم السكان برحيل السلطان المملوكي الناصر فرج، أغلقوا أبواب المدينة، واستعدوا للقتال، وصعدوا على الأسوار، وأخذوا يتراشقون بالسهام مع قوات تيمورلنك، التي أحكمت حصارها على المدينة من كافة جهاتها، وشبه ابن قاضي شهبة القوات التيمورية بالجراد لكثرة أعدادها[325].

و لم تصمد المدينة طويلاً تحت الحصار، حتى بدأت مرحلة من المفاوضات بين قوات تيمورلنك وسكان المدينة، وجاء طلب المفاوضة من جانب سكان دمشق وبإقناع من بعض العلماء والوجهاء الذين ذهبوا لمقابلة تيمورلنك وذلك عندما فقدوا الأمل بعودة السلطان الناصر فرج، قام كبراء المدينة بعقد اجتماع في المسجد الأموي تم فيه الاتفاق على خروج السادات والأئمة والعلماء[326].

---

[321] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره.** ج2. ص137 ؛ المقريزي. **السلوك.** ج3. ق3. ص1045.
[322]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره** ص110.
[323]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ص 110.
[324]. ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره.** ص101.
[325]. ابن قاضي شهبة. **مصدر سبق ذكره.** ص205.
[326]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره.** ص101.

فيما يذكر بعض المؤرخين أن طلب المفاوضة جاء من جانب تيمورلنك، الذي أرسل أحد أتباعه فنادى على من كان على الأسوار من السكان:" الأمير يريد الصلح فابعثوا رجلا عاقلا يحدثه"[327].

فلم يرفض بعص من السكان وكبراء المدينة والأئمة والعلماء، الصلح خاصة بعد أن يئسوا من انتظارعودة السلطان وأدركوا أنه لا قدرة لهم على القتال والصمود أمام جيش تيمورلنك[328]، ووقف نائب القلعة موقف المعارض من فكرة التفاوض، ومنع الوفد من الخروج من باب النصر المجاور للقلعة، وهو أقرب الأبواب إلى القصر الأبلق، الذي نزل فيه تيمورلنك وقام فيما بعد بهدمه وطمس معالمه، وقد أنشأ السلطان سليمان القانوني في مكانه التكية السليمانية[329].

ورفض السكان والعلماء والأئمة طلب نائب القلعة، وقاموا بارسال قاضى القضاة تقي الدّين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، ودلوه بحبل من سور دمشق إلى الأرض هو وثمانية آخرون ذكرهم ابن عربشاه بأسمائهم[330]، واستقبلهم عند السور أحد رجال تيمورلنك ويدعى شاه ملك، وكان الحنبلي على رأس الوفد وتوجّه إلى تيمورلنك، ولكنهم لم يجتمعوا معه وإنما اجتمعوا بابنه ميرانشاه الذي رحب بهم قائلا:" الحمد لله الذي حقن دم أهل دمشق"[331].

وطلب من أعضاء الوفد العودة في اليوم التالي واضطر أعضاء الوفد العودة إلى دمشق ولم يمكثوا في معسكر تيمورلنك أكثر من ساعة[332]، وقد خدعوا[333]، وادعى ابن تيمورلنك أن سبب الحملة على بلاد الشام هو قيام سودون نائب دمشق بقتل رسوله وهو السبب

[327]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3.ص1046؛ ابن حجر العسقلاني. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص137.
[328]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص101.
[329]. ابن إياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص331- ص332.
[330]. ابن عربشاه.**مصدر سبق ذكره**. ص103.
[331]. النعيمي. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص434- ص439
[332]. ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**. ج1. ص331.
[333]. ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص239.

المباشر الذي ادعاه تيمورلنك لاحتلال دمشق حيث صرح بأنه سيعود إلى بلده فور أسر سودون، وحصوله على الطقزات كعادته عند احتلال كل بلد[334].

وكانت هذه عادة تيمورلنك إذا أخذ مدينة صلحاً يخرج إليه أهلها من كل نوع من أنواع المأكول والمشروب والدوابّ والملابس والتّحف تسعة، يسمّون ذلك طقزات، والطّقز باللّغة التركيّة :تسعة[335].

وانقسم الناس في دمشق بين مؤيد ومعارض للخطوة التي أقدم عليها ابن مفلح وصحبه[336] وأخذ ابن مفلح يهبط معنويات الناس ويخذلهم عن القتال، ويثني على تيمورلنك ودينه وحسن اعتقاده ثناءً عظيما، فأيدته طائفة من الناس، وخالفته طائفة أخرى، وأبوا إلّا قتاله ومقاومته بكل ما أوتوا من قوة، وغلب رأي ابن مفلح على رأي معارضيه، وأصر على إتمام الصلح[337].

وجاء رسول تيمورلنك إلى مدينة دمشق في طلب الطقزات التي فرضها تيمورلنك على دمشق، فبدأت عمليات الجمع بإشراف ابن مفلح وعدد من العلماء والتجار، وخرجوا لمقابلة تيمورلنك، وقد حملوا من الأمتعة والأقمشة من كل صنف تسعة حسب عادة الطقزات[338].

وتوجهوا إلى باب النصر ليخرجوا منه إلى تيمورلنك، ونزل ابن مفلح من أعلى السور بالحبل، ومعه أعضاء الوفد[339]، ووصلوا إلى مخيّم تيمورلنك، وقد أمر تيمورلنك بتعيين شاه ملك حاكما على دمشق، وعين بعض أعضاء الوفد في عدد من الوظائف توزعت ما بين قاضي القضاة ، والحاجب، والدواوين، ومستخرج الأموال [340]، وحملوا فرمان[341]، من تيمورلنك، فقرئ الفرمان المذكور على منبر جامع بني أمية بدمشق، وفتح من أبواب دمشق الباب الصغير فقط، وقدم الأمير شاه الذي عِينه تيمورلنك حاكما على دمشق

---

[334] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج4. ص203.
[335] السخاوي. **مصدر سبق ذكره**. ص351.
[336] ابن حجر. **الضوء اللامع**. ج2. ص137 ؛ ابن تغري. **النجوم**. ج12. ص240
[337] ابن حجر.**مصدر سبق ذكره**. ج2. ص137؛ المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1047.
[338] ابن خلدون. **التعريف**.ص368.
[339] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره** . ص103.
[340]. ابن خلدون. **التعريف**. ص268.
[341]. **الفرمان** : ورقة فيها تسعة أسطر تتضمن أمان أهل دمشق على أنفسهم، المقريزي. **السلوك**. ج3.ق3. ص1042.

وجلس فيها ليحفظ البلد ممّن يعبر إليها، وفرح الناس بذلك، وفتحوا المدينة، وتصرفوا في المعاملات[342].

واشترط تيمورلنك على الوفد أن يحمل إليه كل ما تركه السلطان المملوكي الناصرفرج وأمراؤه قبل انسحابهم من دمشق، من أموال وغلمان ودواب، وأن يدفع أهل دمشق أموال الأمان[343].

وأكثر ابن مفلح ومن كان توجّه معه من أعيان دمشق الثّناء على تيمور وبثّ محاسنه وفضائله ودعا العامّة لطاعته وموالاته، وحثهم على جمع المال الذي تقرر لتيمورلنك عليهم وهو ألف ألف دينار، وفرض ذلك على الناس كلّهم، فقاموا بجمعه في وقت قصير بسبب كثرة أموالهم [344].

وعندما أراد ابن مفلح والوفد المرافق له العودة في المرة الثانية لمقابلة تيمورلنك، أوقفهم ابن خلدون وطلب منهم اصطحابه معهم، وبعد جدال أجيب طلبه وأدلي مع بقية أعضاء الوفد من السور[345]، وتم نقلهم إلى تيمورلنك بواسطة شاه ملك المكلف من قبل تيمورلنك إلى القصر الأبلق حيث يقيم تيمورلنك، ولما دخلوا عليه رفع رأسه ومد يده فقبلها ابن خلدون[346]، وقدم لهم تيمورلنك الطعام فأكل بعضهم وامتنع البعض الآخر[347].

ويبدو أن ابن مفلح رئيس الوفد لم يكن له أي دور بارز في الحديث الذي دار بين تيمورلنك والمفاوضين، كالدور الذي لعبه ابن خلدون. ويشير ابن عربشاه أن ابن خلدون كان قد اتفق مع الوفد أمام السور عند لقائهم به أن يتكلم باسمهم، فوافقوا على ذلك[348].

وأكل ابن خلدون من الطعام الذي قدمه تيمورلنك للوفد، وقد التفت تيمورلنك إلى لباسه لأنه يختلف عن لباس بقية أعضاء الوفد، حيث كان يرتدي البرنس المغربي ويرتدي عمامة

---

[342]. ابن خلدون. **التعريف**. ص383

[343]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**.ص102.

[344]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1047؛ ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص242.

[345]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص102.

[346]. ابن خلدون. **التعريف**. ص369.

[347]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص102.

[348]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص103.

على رأسه[349]، وبدأ ابن خلدون حديثه مع تيمورلنك بمجاملته، عندما قال إنه قد كتب التاريخ وتحدث فيها عن أخبار الملوك، وشاهد كثيرا من الحكام والسلاطين، ولكنه لم يشاهد ملكاً مثل تيمورلنك وعظمته[350].

وأعجب تيمورلنك بكلام ابن خلدون الذي كان يترجمه له بالفارسية الفقيه عبد الجبار بن النعمان، أحد رجال حاشية تيمورلنك، وسأله عن سبب قدومه إلى المشرق، فأجاب ابن خلدون، من أجل الحج. ثم أخذ تيمورلنك يسأله عن أحوال المغرب وأخبار حكامه ومدنه وطلب له أن يكتب له نبذة عن تلك البلاد[351].

وأدخل خلال الإجتماع على تيمورلنك أحد القضاة الأسرى هو القاضي صدر الدين المناوي وكان ممن فروا من دمشق في إثر انسحاب السلطان المملوكي الناصر فرج، وقد أدخل على تيمورلنك وهو مكبل بالحديد، وتم ضربه وجره من ثيابه ثم أخرج[352]، وربما كان قصد تيمورلنك من إدخال القاضي الأسيرومعاملته بهذه الطريقة، التأثير في نفوس أعضاء الوفد لكي يخضعوا لمطالبه.

وطلب تيمورلنك من الوفد بحمل المال إليه، من أجل اعطائهم الأمان[353]، وقام ابن مفلح ومن معه بجمع المال، واقناع أهل دمشق بضرورة التسليم[354]،ولما تكامل حصول المال الذي هو ألف تومان، أخذه ابن مفلح وحمله إلى تيمورلنك؛ فقال تيمورلنك لابن مفلح وأصحابه: "هذا المال بحسابنا إنما هو يسوى ثلاثة آلاف ألف دينار، ولا بد من استمرار الجمع
لتأمين بقية المبلغ المفروض"[355]، ما اضطر الجباة إلى التشدد في عمليات الجمع من السكان ولجؤوا إلى ضرب الناس وشتمهم[356].

---

[349] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص103.
[350] . ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص103
[351] . ابن خلدون. **التعريف**. ص370.
[352] . السخاوي . **الضوء اللامع**. ج6. ص249.
[353] . ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص104.
[354] . ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص239.
[355] القلقشندي. **المصدر السابق** . ج1. ص259

وكان تيمور لما اتفق أوّلا مع ابن مفلح على ألفي دينار يكون ذلك على أهل دمشق خاصة والذي تركته العساكر المصرية من السلاح والأموال يكون لتيمورلنك فخرج إليه ابن مفلح بأموال أهل مصر جميعها، فلما صارت كلها إليه، وعلم أنه استولى على أموال المصريين أمرهم بإخراج أموال التجار الغائبين الذين فرّوا من دمشق وخاصة التجار الفرنجة[357] فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله، وتدافعوا عنده حتى خلص المال جميعه[358].

كما وضع يده على كل ما وجد في المدينة من جمال وبغال وخيول، وبلغ عدد الدواب المصادرة مائة وخمسة وعشرين ألف دابة[359]، ولما انتهى تيمور من كل وسائله للحصول على المال الذي طلبه، أرسل إلى موظفيه الذين يحملون قوائم الجرد، واستدعى أصحاب الحوانيت للمثول أمامه وأحيطوا علما بأنه نظرا لعدم كفاية المال المدفوع، فإنه مضطر *لاتخاذ* وسائل أخرى من أجل النفقات التي سوف يحتاجها ذلك الجيش الكبير في رحلته[360].

ولذلك فإنه قرر بأن السلع والبضائع الموجودة في حوانيتهم ومصانعهم يجب عليهم إما أن يفتدوها بالمال أو تحرق وتحول إلى رماد، فيما أكد سكان دمشق أنهم لا يملكون شيئا وعلى ذلك فإن الذين لم يسلموا بضائعهم في الحال أخذت إلى تيمورلنك أو أحرقت و لهذا السبب فإن الكثير قد سلموا بضائعهم بالأموال التي يخفونها ودفعوا عنها فائدة حوالي نصف قيمتها، أما تيمورلنك فقد احتفظ بقوائم الجرد، وبالتالي استطاع الحصول على مبالغ كبيرة من المال وتم وضع كل ما قدموه وما بقي في الحوانيت في قوائم الجرد[361].

---

[356]. القلقشندي. **المصدر السابق**. ج1. ص259.

[357] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1049.

[358] ابن خلدون. **التعريف**. ص383.

[359] المقريزي.**المصدر السابق**. ج3. ق3. 1050.

[360] ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص242؛ المقريزي.**المصدر السابق**. ج3. ق3 ص1047-1050.

[361] ابن تغري بردى. **المصدر السابق**. ج12. ص242- ص243

ولم يستثني تيمورلنك الأوقاف من الجباية، بل قام بأخذ مبالغ من مساكن الأوقاف عن ثلاثة أشهر مقدما، وأخذ من أوقاف المساجد والمسجد الأموي كذلك[362].

ومن ثم انتقل تيمورلنك إلى ممتلكاتهم التي لا يمكن حملها، كالمنازل والحوانيت والمزارع وأشياء أخرى من ذلك القبيل، وباعها بنصف قيمتها أو أقل، أما تلك التي لم تبع فقد خربت تماما، مما أدى إلى حصوله على مبالغ كبيرة من المال[363].

وعندما رأى تيمورلنك أنه لم يعد باستطاعته أخذ المزيد من الأموال سواء بالحق أو بالباطل استدعى نبلاءه وقواده، وأخبرهم بأنه لم يجمع إلا المال القليل من أهالي دمشق وطلب منهم الدخول إلى المدينة ونهب ما يحلو لهم، و سلمهم قوائم الجرد وبها أسماء الملاك وأصحاب الحوانيت وقوائم البضائع والسلع وأماكنها، وأباح لهم سفك الدماء فأطاعوه وقاموا بما أمرهم به[364].

وقد أطلق على ما قام به عساكر تيمورلنك "بالنهب العام"[365]، وقد بدأ النهب العام يوم الأربعاء 30 رجب 803هـ/ 16 آذار 1401م، بعد أن أنهى الأمراء أعمالهم من جمع الأموال بيومين[366]. وقد عين تيمورلنك قائداً من طرفه ليقوم بمهمة الإشراف على جمع الأموال ويدعى عطاء الله[367].

---

[362].ابن حجر. مصدر سبق ذكره. ج2. ص138.
[363]. المقريزي. السلوك. ج3. ق3. ص1050.
[364]. المقريزي.المصدر السابق. ج3. ق3. ص1050..
[365]. ابن عربشاه. مصدر سبق ذكره. ص111.
[366]. المقريزي. المصدر السابق. ج3. ق3. ص1051.
[367].ابن عربشاه.المصدر السابق. ص106.

ثالثا: المغول وسكان المدينة:

تحدثنا سابقاً عن المفاوضات والخديعة التي قام بها تيمور لنك من أجل تسليم المدينة من دون عناء ولا قتال، والتي لم تفلح بين تيمورلنك وأهل دمشق من العلماء والقضاة والمشايخ فكانت كلها خديعة اتخذها تيمور من أجل السيطرة على دمشق بأقل الخسائر، فأخذت قوات تيمورلنك تحاصر قلعة دمشق وقاموا بالدخول إليها دفعات دفعات، حتى امتلأت المدينة بهم[368].

وكان تيمور قد حصل على ما يريد من ثروات وأموال ولم يبقَ مع أهالي دمشق شيئاً وبعدها أعطى الأمر لقواته بالدخول إلى المدينة، واستباحتها بما فيها من مساكن وسكان وأمر كذلك من أهالي دمشق بألا يسمحوا لأحد من أصدقائهم أو عائلاتهم بدخول المدينة باستثناء قلة تم تحديدها[369]، وأخذ تيمورلنك باسترضاء الناس، وطلب الأمان[370].

وقد زعم تيمورلنك أنه فعل ذلك من أجل حماية دمشق، وسلامة سكانها، ثم أمر بإغلاق طرقات المدينة في الأحياء الكبيرة كما أمر بإنزال البوابات حتى لا يستطيع الأهالي أن يدخلوا أو يخرجوا منها، وزعم بأنه على هذا النحو يوفر لهم حماية أفضل[371].

وأعلن تيمور أنه يرغب في شق طريق من دمشق إلى عاصمته سمرقند، ويوفر الحراسة ليلا ونهارا حتى يتسنى للتجار تبادل بضائعهم بين المدينتين[372]، وهو الطلب الذي كان تيمورلنك قد طلبه من السلطات المملوكية في رسائله التي كان يرسلها لها في القاهرة، قبل

---

[368]. ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**. ج1. ص332.
[369]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص98.
[370]. ابن عربشاه.**المصدر السابق**.ج2. ص104.
[371].ابن عربشاه. **المصدر السابق**.ج2. ص104.
[372]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ج2. ص98.

التحرك باتجاه بلاد الشام، ويدل ذلك على طمع تيمورلنك بمدينة دمشق بسبب الترف والنعيم الذي كانت عليه تلك المدينة وضواحيها وتفوق سكانها في التجارة، وجودة البضائع الشامية التي كانت تصل إلى أوروبا.

أما أهل دمشق فقد استمروا في الدفاع عن قلعتهم، وقام تيمورلنك وجيشه ببناء قلعة إتجاه قلعة دمشق من خشب، وعندما فرغوا من بنائها وأرادوا الصعود عليها ليقاتلوا من أعلاها من هو بالقلعة، رمى أهل قلعة دمشق نفطا فأحرقوها عن آخرها، ولم يكن بالقلعة المذكورة من المقاتلين إلّا رجال يسير دون الأربعين رجلا، وصعب الأمر عليهم، ويئسوا من النّجدة وطلبوا الأمان، وسلّموها بالأمان[373].

ودخل تيمورلنك مدينة دمشق، ونزل في منزل أحد الأمراء المماليك هو الأمير بتخاص السودوني، وقد ذكر ابن عربشاه أن هذا الأمير- صاحب المنزل - من الذين ساهموا في عمليات الدورية إلى البادية لتقصي أخبار تيمورلنك منذ عام 799هـ/ 1397م[374]، ولكنه وقع أسيرا بيد القوات الغازية عند إجتياح المدينة عام 803هـ/ 1401م.

وكان ممن أجبر على السير في ركاب الغزاة ومات في الأسر عند وصوله إلى نهر الفرات[375]، وأما منزله الذي نزل فيه تيمورلنك فهو يقع بجانب مسجد وقام بتخاص السودوني بإنشائه، ولا تزال بقاياه قائمة، ويقع في أحد أحياء دمشق، ويطلق على هذا الحي الذي ما زال قائما اسم سويقة صاروجة ويقع في شمال المدينة خارج السور[376]، وقد رمم هذين المبنيين من قبل أتابك العسكر المملوكي ويدعى بلبان، وظهر أن تيمور اختار هذا المكان للنزول فيه بسبب ما يحيط بالمنزل والمسجد من أشجار وقلة الأبنية القائمة حوله ويوجد حديقة تحيط بهما وتدعى جنينة ابن العنبري[377].

---

[373]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3.ص1051.
[374]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص114.
[375]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ج2. ص114
[376]. النعيمي. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص332.
[377]. . النعيمي. **المصدر السابق**. ج2. ص332

ولم يشرابن خلدون إلى نزول تيمورلنك في منزل بتخاص واقتصر على ذكر إنتقال تيمورلنك من القصر الأبلق إلى تربة منجك المقامة في باب الجابية[378]، ويمكن أن تكون إقامة تيمورلنك في منزل بتخاص قصيرة جدا ولهذا السبب لم يلتفت ابن خلدون إليها.

وانتقل تيمورلنك ما بين القصر الأبلق وتربة منجك، وهو المكان الذي عقدت فيه بين تيمورلنك وبين ابن خلدون مقابلة أخرى بعد رحيله عنه، وقدم خلالها ابن خلدون بعض الهدايا لتيمورلنك[379].

وقام تيمورلنك باحراق القصر الأبلق، وذلك عند حريق دمشق العام الذي وقع قبيل انسحاب تيمورلنك وقواته من المدينة[380]. ومنجك هو أحد الأمراء المماليك تولى نيابة دمشق، وتربة منجك هي تربة فرج بن منجك، ولم يبقى منها إلا أجزاء من بنايتها تظهر في جدران المحال التجارية[381].

وأدى تيمورلنك صلاة الجمعة في المسجد الأموي في 6 جمادي الثانية 803هـ / 23 كانون الثاني 1401م[382]، واستمع إلى الخطبة التي ألقاها الشيخ محمود بن صرغمتس الذي عينه تيمورلنك[383]، وكانت الخطبة باسم تيمورلنك[384]، كما أراد وطالب مرارا، وأمر تيمورلنك في هذه الأثناء بإقامة قبتين على قبري زوجتي الرسول صلى الله عليه وسلم(أم سلمة وأم حبيبة)، في مقابر الباب الصغير جنوب دمشق[385].

واهتم تيمورلنك في أثناء إقامته بدمشق بمناظرة العلماء، وكان الفقيه عبد الجبار النعمان يقوم بالترجمة كعادته، ودارت أغلب المناقشات حول علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي

---

[378]. ابن خلدون. **التعريف**. ص373.
[379]. ابن خلدون.**المصدر السابق**. ص373
[380].. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**.ج2. ص114
[381]. النعيمي. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص227.
[382]. ابن قاضي شهبة. **مصدر سبق ذكره**. ص205.
[383]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ج2. ص104.
[384]. ابن قاضي شهبة. **المصدر السابق**. ص205.
[385]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**.ج2. ص107.

سفيان، وولديهما الحسين ويزيد، وكان تيمورلنك يرى أن قتل الحسين هو ظلم وأن من استحله فقد وقع في الكفر، وأن يزيد قد أقدم على فعلته هذه بتأييد أهل الشام له، وأن سكان دمشق الحاليين على مذهب أسلافهم السابقين[386]، مما يظهر أن تيمورلنك أراد من حملته على شمال بلاد الشام ومدينة دمشق تأديب ومحاسبة أهلها لوقوف أسلافهم إلى جانب معاوية بن أبي سفيان ويزيد ضد علي بن أبي طالب وولده الحسين[387].

ولم يكتفِ تيمورلنك بذلك بل طلب من العلماء أن يوازنوا بين أبي بكر وعلي بن أبي طالب، وكان أبي بكر برأي تيمورلنك يمثل العلم، أما علي بن أبي طالب فقد كان يمثل النسب لقرابته من الرسول عليه السلام، وقد رد عليه أحد العلماء" بأن العلم أعلى درجة من النسب بدليل إجماع الصحابة على أبي بكر الصديق"[388].

وكأن تيمورلنك يريد إلباس تهمة قتل الحسين لأهل دمشق، وأنهم سبب الفتنة التي وقعت في الشام خلال تلك الفترة. وقد وصف ابن تغري بردى قتال أهل دمشق وصمودهم في وجه تيمورلنك،" أنهم أي أهل دمشق عندهم قوة لدفع تيمورلنك عن دمشق، وأن دمشق بلد ذات رزق وفير، وهي محصنة جيدا، وطلب من سلطنة المماليك التوجه إليها لقتال تيمورلنك فلم يسمع له أحدٌ في ذلك"، مع العلم أن أهل دمشق كانوا يقاتلون في تلك اللحظة ويدافعون عن مدينتهم وحدهم بكل ما أوتوا من قوة من دون قائد، ولا معين لأمرهم[389].

ومن صور التنكيل التي قام بها تيمورلنك وقواته اتجاه أهل دمشق،" أنه كان يؤتى بصاحب البيت ويوقف على باب داره ويطالب بدفع المال وإذا قصر في ذلك أو لم يستجب لطلب القوات التيمورية أنزل به أقسى أنواع العقوبات من الضرب والحرق وارتكاب الفاحشة، ثم دخل بعض هؤلاء الأمراء وأتباعهم إلى المدينة وسيوفهم مسلولة فمارسوا النهب والسبي والتنكيل وأجري على السكان كافة صنوف العذاب من العصر والضرب والإحراق،

---

[386]. ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**.ج2. ص107.
[387]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**.ج2. ص112.
[388]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ج2. ص106.
[389]. ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص342.

والتعليق من إبهامي قدميه بالسقف وإيقاد النار من تحته، وتربط يديه إلى ظهره، ويغم الأنف بخرقة فيها تراب ناعم كلما تنفس دخل في أنفه حتى تكاد نفسه تزهق، أو يربط بحبل من تحت إبطيه ويعلق بالسقف، ثم يلف بشدة ليدور على نفسه بسرعة كبيرة، ويجبرأحيانا على المشي على النار، أو تعصر أعضاؤه، ويصادر ما يوجد في بيته من متاع وأقمشة ونحاس، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يخلى عنه حتى يستريح، ثم تعاد عليه العقوبة، فكان المعاقب يحسد رفيقه الذي هلك تحت العقوبة على الموت، ويتمنى الموت حتى يستريح مما هو فيه"[390].

وتؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، ويعتدى عليهم أمامه[391]، "فيشاهد الرجل المعذب امرأته أو بنته وهي توطأ وولده وهو يلاط به، يصرخ هو من ألم العذاب، وتفتض أبكار بناته ويلاط بأبنائه"[392]، وكل ذلك من غير تستر في النهار وبحضرة الملأ من الناس[393].

ومن صنوف العذاب التي تعرض لها السكان أيضاً، أن جنود تيمورلنك [394]، كانوا يقومون بربط الرجال بقطعة من الخشب كما يربط الحيوان ويشعلون النيران من كل جانب كما يفعل عند شواء اللحم، ويقومون بتقليب قطعة الخشب، وغالبا ما كانوا يضعوا قطع الحديد الساخن إلى درجة الإحمرار على لحم الضحايا حتى يعلو الدخان، وتكون له رائحة اللحم المشوي[395]، وبوسائل التعذيب استطاعت قوات تيمورلنك الحصول على أكبر قدر من المبالغ المالية دون عناء، فبمجرد القيام بتعذيب الرجل يقوم باظهار كل ما لديه من مبالغ مالية.

---

[390] المقريزي.**السلوك**.ج3.ق3.ص1050؛ ابن تغري.**النجوم**.ج12. ص244.

[391] المقريزي.المصدر السابق. ج3. ق3. ص1050 ؛ ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1.ص334.

[392] ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**. ج1. ص334.

[393]. القلقشندي.**مصدر سبق ذكره**. ج7. ص330؛ ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص342- 344

[394]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1048؛ ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص240.

[395]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3.ص150؛ ابن تغري. **النجوم**. ج12. ص243.

وقد رفض نائب القلعة التفاوض مع تيمورلنك، وبقي متحصناً بالقلعة، حيث كان ذا رأي صائب، ومنع القضاة من الخروج من الأبواب لملاقاته، وهذا ما جعلهم يتدلوا من السور وينزلوا بالحبال، حتى سلمت القلعة بحيلة ومكر وخديعة تيمورلنك للوفد المفاوض بعد تسعة وعشرين يوما، وقد صمد ودافع عنها نائبها والطرف المؤيد له من السكان والقوات، بالمدافع والمكاحل[396]، وأضرموا النار في المنازل مع العلم أن أغلب بيوت دمشق كانت مبنية من الخشب والطين، وأضرموا النار كذلك في المساجد ولا سيما جامع بني أمية الذي تهدمت سقفه وحوائطه، فعم الحريق جميع البلد بسبب اشتداد الريح حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وأشتعلت النار في البلد ثلاثة أيام بلياليها[397]، وقد اختلطت معالم المدينة فلم يعد التمييز بين حاراتها وأحيائها وطرقها[398]، وهلك معظم سكان المدينة الذين كان يقدر عددهم آنذاك بمائة ألف مواطن[399].

ولم يميز تيمورلنك وقواته بين مسلم ويهودي فقد عامل الجميع معاملة سيئة، وألقى على الجميع من العذاب مالا يوصف، فيروي الرحالة اللاتيني دي ميخائيللي حادثة حصلت مع يهود دمشق وهي:" عندما أراد اليهود في نهاية شهر نوفمبر الاحتفال بأحد الأعياد لديهم وخشية من أن يتم نهبهم من قبل جماعات تيمورلنك فإنهم احتشدوا في المعبد يؤدون الصلاة في خشوع وخوف، ولكي يوفروا لأنفسهم مزيدا من الحماية فإنهم حملوا معهم إلى داخل المعبد كل ما يمكن حمله من أمتعتهم، وما غلا ثمنه، كالنقود والجواهر والأشياء الثمينة، وكان في جيش تيمور بعض المحاربين الذين يعرفون لغة اليهود إلى حد كبير، وما إن عرف هؤلاء بما فعله اليهود وبموافقة تيمورلنك فيما يعتقد، حتى ذهبوا مسلحين تسليحا جيدا ومتنكرين في زي يشبه زي اليهود من أجل زيارة المعبد كما أدركوا ذلك، ودخلوا

[396] المقريزي.المصدر السابق. ج3. ق3. ص1049
[397] إبن اياس.المصدر السابق. ج1. ص616؛ المقريزي.المصدر السابق. ج3. ق3. ص1050.
[398] القلقشندي. المصدر السابق. ج3. ص193.
[399] تشير تقارير الرحالة الأجانب أن تعداد أهالي دمشق كان يبلغ مائة ألف مواطن، انظر:رحلات بروكيير. ص294.

المعبد وتظاهروا بالصلاة وآداء طقوس دينية إلى أن اطمأن لهم اليهود المتواجدين في المعبد، وقاموا بالتنكيل بهم وارتكاب مذبحة بحقهم"[400].

ولكن يشير تقرير للرحالة الأوروبي بروكيير عن معاملة المسيحيين في الحملة معاملة حسنة فقد ذكر أن الحي المسيحي في شرقي دمشق كان الحي الوحيد الذي لم تمتد إليه يد التخريب التيمورية[401]، وهذا ما يؤكد أن المسيحيين هم من سلم فقط من قوات تيمورلنك، ولم يسلط مؤرخي مصر وبلاد الشام الضوء على هذه الحوادث، ولم يتطرقوا إلى الفصل والتمييز بين اليهود والمسلمين والمسيحيين في رواياتهم، وكان جل ما أوردوه يدور حول جميع سكان دمشق دون استثناء.

وقد أمر تيمورلنك قبل إنسحابه من دمشق بجمع من بقي حيا من الأطفال فأخرجوا إلى خارج المدينة وقدر المؤرخين عددهم بعشرة الآف وجلس تيمور يراقب الأطفال إلى أن أمر قواته بالإغارة عليهم بخيولهم، ولما طلب أتباعه منه الرحمة بهؤلاء الأطفال أجاب: "ما نزل على قلبي فيهم رحمة"[402].

واستمرّ هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوما ،آخرها يوم الثلاثاء في 28من شهر رجب 803هـ/ 31- أيلول 1401م، فهلك في هذه المدّة بدمشق بالعقوبة والجوع أناس كثر من أهل المدينة[403].

ويبدو أن تيمورلنك أعجب بابن خلدون وحديثه، فقد عرض عليه الإنتقال معه من دمشق إلى سمرقند، ثم التقاه قبل أن يترك تيمورلنك المدينة عائدا إلى بلاده، وفي طريق عودته تعرض له جماعة قطعوا عليه الطريق ونهبوه مع أصحابه، إلا أنه نجا إلى قرية هنالك بعدها انتقل إلى صفد ثم غزة ومنها إلى القاهرة فوصلها في 803هـ/ 1401م، وأما السلطان الناصر فرج فقد بعث من بابه سفيراً إلى تيمورلنك إجابة إلى الصلح الذي طلب.

---

[400] دي ميخائيللي. **مصدر سبق ذكره**. ص15- 16.

[401].Thomas wright,Early travel**, the travels of B.de In Brocauiero** AD1432- 1433. P295.

[402] ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص335؛ وابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص110.

[403] ابن تغري بردى. **النجوم**. ج12. ص352.

رابعاً: أعمال تيمورلنك في دمشق.

وكان تيمورلنك قد غادر مدينة دمشق في يوم السبت الثالث عشر من شهر شعبان 803هـ/ 19 مارس 1401م، بعد ثمانين يوما من حملته عليها، وقد احترقت كلها، وذهبت مساجدها ومدارسها وسائر أسواقها، ولم يبقَ فيها حياة، إلا أطفال يتجاوز عددهم الآف فيهم من مات وفيهم من بقي وحيدا دون أهله[404]، بعد أن تمكن من خديعة السكان وأخذ ثرواتهم[405]، حيث عم الخراب والدمار في بلاد الشام.

وتأثرت الحياة العامة في دمشق بسبب الأعمال القبيحة التي قام بها تيمورلنك وقواته، فأصبح هناك نقص في المواد التموينية بسبب تعطل عملية البيع والشراء في الأسواق وارتفاع الأسعار، فضلا عن المصادرات التي كانت تقوم بها السلطات المملوكية، وتفشت المجاعة والفقر، ويقول ابن قاضي شهبة:" إن السلطات المملوكية قد وضعت يدها على ما يوجد من أقوات في مخازن التجار الغائبين، وختمت حواصل مستودعات هؤلاء التجار"[406]. وحدث ندرة القمح والشعير في دمشق في تلك المرحلة وارتفاع أسعارها[407].
وكان من مظاهر اضطراب الحياة العامة أيضاً تعطل الآذان والصلاة في أغلب المساجد، بما فيها المسجد الأموي الذي اتخذه شاه ملك حاكم دمشق العسكري مسكنا له، وقام بجمع الحصر والبسط المفروشة في المسجد وستر بها الأبواب والنوافذ، وأقيمت صلاة الجمعة في الجزء الشمالي من المسجد الأموي، حتى دعي بها على منابر دمشق للسلطان محمود، ولولي عهده ابن الأمير تيمورلنك[408].

ويعزى رحيل تيمورلنك عن دمشق إلى ما كان يشعر به من نقص في المواد التموينية لإطعام الجند، وقلة الأعلاف اللازمة لخيولهم وأفيالهم[409]، ولا سيما بعد ما حل بدمشق

---

[404]. المقريزي. **السلوك**. ج3.ق3. ص1051.
[405] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص110.
[406] ابن قاضي شهبة. **مصدر سبق ذكره**. ص207.
[407]. ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص332.
[408]. المقريزي. **السلوك**. ج3.ق3. ص1048.
[409]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص215.

وغوطتها من خراب بسبب الغزو وشوهدت قوات تيمور وهي تجمع العليق في بلاد حوران وظهرت في جهات الحولة[410].

وكان تيمورلنك من ناحية أخرى يشعر بأن السلطان الناصر فرج الذي انسحب فجأة من دمشق وعاد إلى القاهرة لن يلبث أن يعود على رأس قوات جديدة إلى بلاد الشام، وأن أخبار الاستعدادات التي أشار إليها ابن اياس التي كانت تقوم بها السلطات المملوكية في القاهرة في تلك الآونة[411]، كانت تصل إلى مسامع تيمور الذي خشي من وقوعه هو وقواته في فخ السلطان المملوكي الناصر فرج ولذلك فضل العودة والانسحاب من دمشق وأطلق ابن عربشاه على هذا الانسحاب "تأخر إلى الوراء"[412].

واصطحب تيمور لنك معه وهو في عودته إلى سمرقند كل الحرفيين والصناع والعمال والمهرة، ويورد ابن عربشاه قائمة بأسماء عدد من الأطباء والقضاة وأرباب الصناعات الذين أجبروا على مرافقة تيمور وعسكره عند انسحابهم[413]، فبدأت الصناعات والفنون تزدهر في عاصمته، وأمر بنقل كل ما يمكن حمله بأعداد كبيرة، وأمر بنقلهم إلى معسكره خارج المدينة، وكان في طريق عودته ينهب جميع البلاد التي يقابلها في خط سيره[414].

وقام كذلك بمصادرة الفنادق والحواصل، وبذلك فقدت دمشق قدرتها الصناعية والاقتصادية لفترة طويلة، وما يدل على الخسارة الاقتصادية التي منيت بها دمشق أن أحد الحجاج الغربيين عندما زار دمشق مع بعض رفقائه خلال القرن الخامس عشر الميلادي من أجل شراء حرير سوري قيل له إن الحرير الموجود مستورد من البندقية[415].

---

[410] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص98.

[411] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ج1. ص330.

[412] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص115.

[413] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص 113-114.

[414] الزيدي. مفيد. **(موسوعة التاريخ الإسلامي)** العصر المملوكي. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. 2006م. ص208.

[415] ؛ ابن اياس.**المصدر السابق**. ج1. ق2. ص614- 616؛ ابن تغري بردى. **النجوم** .ج12. ص244-ص245

ولم يستطع الدمشقيون بعد رحيل تيمورلنك حصد محاصيلهم الزراعية في ذلك العام بسبب قدوم الجراد إليها، الذي إلتهم كل شيء ليس فقط براعم النبات وثمارها بل أيضا سيقانها وأوراقها وجذورها ونتيجة لذلك تضور السكان جوعا على نحو يصعب تصديقه، وافتقدوا كل وسائل الإغاثة، وقد هلك عدد كبير من الناس من العوز والجوع والبؤس[416].

وتلوث الهواء بالروائح الكريهة نتيجة لتعفن الجثث في الشوارع والطرقات حيث لم يجد الموتى من يدفنهم، ولم يستطع أحد أن يعيش في أي مكان باستثناء القلاع التي لم تحترق.
وقد وصف الرحالة دي ميخائيللي ذلك فقال:" وخارت قواي الجسدية والعقلية من روائح الجثث الكريهة ومن الاضطرابات الشديدة، ولم أستطع أن آكل شيئا أو أنام من شدة الخوف"[417].

أما ابن عربشاه فهو يصف لنا حال دمشق، بعد إطلاق سراحه هو والقاضي شرف الدين من قبل تيمورلنك "فذهبوا إلى مشهد الحسين وطلبوا باقي القضاة واجتمعوا معهم على نحو ألفي رجل وأخذوا ينظروا إلى النار وهي تضرم في أرجائها وبعد ثلاثة أيام لم يبقَ أحد فنزلوا إليها فلم يروا أحدا فاستوحشهم ذلك ولم يستطيعوا الإقامة بها من النتن والوحشة[418]، ويقول :" لقد كانت تلك الأيام علامة من علامات يوم القيامة"[419]، حتى أنهم لم يستطيعوا السلوك في الطرقات[420]، ويختصر ذلك المشهد ببيت من القصيدة:

كأن لم يكن بين التجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر[421].

ويزيد إبن عربشاه على ما آلت إليه دمشق" بأنه بينما كان رجال تيمورلنك يحاصرون قلعة دمشق أخذ هو يستقدم الأفاضل وأصحاب الحرف والصنائع وأرباب الحرف مجبراً إياهم

---

[416]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1051.
[417]. دي ميخائيللي. **مصدر سبق ذكره**. ص43.
[418]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**.ص112
[419]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص112.
[420]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**.ص112.
[421]. ابن عربشاه. **المصدر السابق**.ص 113.

على المسير معه، واستمر نهب عساكر تيمورلنك لدمشق ثلاثة أيام وارتحل و جيشه وقد أخذ من نفائس الأموال فوق الطاقة والإمكان وتحملوا عدا ذلك ما عجزت عنه قوة إستطاعتهم، فجعلوا يلقون ذلك في المنازل، وينقلونه شيئا فشيئا وذلك لكثرة الحمل، وقلة الحوامل".

وأما السخاوي فقد انتابه شعور الحزن عندما اضطر إلى مغادرة دمشق مع أسرته عام 803هـ، هربا إلى الأناضول من تيمور لنك وجيشه[422].
وقد وقع في أسر تيمورلنك وجنوده عدد من النواب والأمراء والأجناد والفقهاء ومنهم، قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي فقد سلب أصحاب تيمورلنك ما كان عليه من ثياب وأحضروه إلى تيمورلنك، فمر بمحن شديدة آلت إلى أن غرق في نهر الزاب وهو في الأسر[423].

ووقع في الأسر أيضا سيف الدين سودون الظاهري قريب الملك برقوق، المعروف بسيدي سودون نائب الشام وقتله أصحاب تيمورلنك ودفن بقيوده[424]، وأسر شيخ المحمودي نائب طرابلس وبقي في أسر تيمور إلى أن أطلق سراحه قبل رحيله عن دمشق، وأسر الأمير عز الدين أزدمر وولده يشبك ابن أزدمر وفقد خبر أزدمر وتبين فيما بعد أن أصحاب تيمور قاموا بقتله، أما ولده يشبك فقد قتل بعد اصابته برأسه بثلاثين ضربة بالسيف وأخذ وحمل إلى تيمورلنك[425].
ووقع في أسر تيمور وأصحابه أيضا، برهان الدين بن علي التادلي قاضي المالكية بدمشق وقد توفي بعد إصابته بجراح على يد أصحاب تيمور[426]، و كذلك أسر تيمور دقماق المحمدي نائب حماة ولكنه فر من الأسر بعد فترة قصيرة، وأسر الموفق أحمد بن نصر الله الحنبلي قاضي القضاة[427].

---

[422]. السخاوي. **مصدر سبق ذكره**. ج1. ص128.
[423]. المقريزي. **السلوك**. ج3.ق3. ص1052.
[424]. ابن تغري .**النجوم**.ج12. ص250
[425]. المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1052.
[426]. ابن العماد. **مصدر سبق ذكره**. ج7. 22-23.
[427]. عبد الباسط. **مصدر سبق ذكره**. ج3. ص56.

وكان السلطان الناصر فرج قد وقع في أسر تيمورلنك واستمر في الأسر مدة طويلة، قدرت بأربعة أشهر وهرب من الأسر بعد أن عاش حياة قاسية ملأها الجوع والعطش في أودية وصحاري طرابلس، ثم ركب البحر إلى أن وصل إلى ساحل دمياط، ثم خرج منه وقدم الديار المصرية يوم الأربعاء في 7 شعبان من سنة 803هـ، واستمر مقيما في الديار المصرية إلى أن نزل عن العرش[428].

وكان الناصر فرج يتوقع معركة جديدة مع تيمورلنك فلم يتوقف عن الاستعدادات الحربية على الرغم من معارضة بعض الأمراء له مثل الأمير جكم، فإن الناصر كان على وشك إرسال جيشه مرة أخرى إلى الشام لولا وصول الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس هارباً من أسر تيمورلنك وأبلغ عن رحيله من دمشق، فأبطل الناصر أمر السفر[429].

وقيل لما رحل تيمورلنك عن مدينة دمشق حضر ألطنبغا العنبري وأخبر السلطان بذلك فأخلع عليه، وأخبره أن تيمورلنك طلعت له في جسده جمرة وقد تألم لها ورحل وهو عليل، وسكن الحال قليلا فكان كما يقال[430]:

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير	وكل شيء له وقت وتقدير
وللمهيمن في أحوالنا نظر	وفوق تدبيرنا لله تدبير

وقد أفصح تيمورلنك بعد غزوه دمشق عن هذه الكلمات، بأنه لا يعبر عن حزنه العميق لتدمير دمشق، تلك المدينة العظيمة دون سبب وجيه، بل لأنه جاء إليها شابا فقيرا معدما، ووجد فيها الثروة الوفيرة والشرف العظيم، بالرغم من الجهد والعناء والمواجهة التي تعرض لها من قبل السكان، واعتبر تيمورلنك نفسه أرحم من السلاطين المماليك والأمراء الذين يحكمون بلاد الشام[431].

---

428 العيني. **مصدر سبق ذكره**. ص242.

429 ابن تغري. **النجوم**. ج12. ص252؛ **المقريزي. السلوك**. ج3.ق3.ص1057؛ ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**. 623.

430 ابن اياس. **مصدر سبق ذكره**. ص619.

431 ابن تغري. **النجوم**. ج12. ص265- 266.

وقد تركت قلعة دمشق أثرا في نفوس الرحالة الأوروبيين، وزار دمشق بعد الحملة الكثير منهم، أمثال برتراندون دولابروكييه فوصفها " بأنها ذات قلعة حصينة، تقع في مواجهة الجبل، وتحيط بها خنادق عريضة عميقة، يشرف عليها نائب من ثقات السلطان ولا يسمح لأحد بدخولها حتى أن والي دمشق يمنع من دخولها وقد دمرها تيمورلنك سنة 803هـ/ 1401م، بحيث سوى بها الأرض ولا تزال آثار هذه النكبة ظاهرة للعيان كما أنه على مقربة من باب القديس بولس لا يزال حي بأكمله من المدينة لم يرمم بعد، وفي المدينة خان(فندق)، يأوي إليه التجار ويأمنون على أنفسهم ومتاعهم"[432].

وغادر تيمورلنك دمشق للتحضير لصدام مع السلطان بايزيد العثماني، واستطاع أن يلحق به هزيمة ساحقة، وأسره في معركة أنقرة 805هـ / 1402م، ثم أرسل بعدها إلى السلطان الناصر فرج طالبا الإفراج عن أطليمش، وطلب منه كذلك بأن يسلم أحمد بن أويس وقرا يوسف عدويه الهاربين، فاستجاب السلطان الناصرفرج لطلبات تيمورلنك وأمر بتطبيقها، وأرسل له هدايا ثمينة تقبلها تيمورلنك بكل بسرور ورد عليه بإرسال فيلاً أبيضاً وحجارة كريمة، وثيابا فاخرة[433]، فخلى السلطان الناصرفرج عن أطليمش وجهزه وأعاده إلى بلاده.

وقد غادر تيمورلنك بلاد الشام قبل أن ينفذ ما صمم عليه، ولا يستبعد المستشرق الألماني بروكلمان أن يكون تيمورلنك قد تذكر بطولة جيش مصر في مقاومة جيش هولاكو وسحقه فأراد أن لا يعرض جيشه لما تعرض له جيش المغول في عهد هولاكو[434].

وترتب على حملة تيمورلنك على دمشق نتائج سيئة منها النقص الهائل في عدد السكان، حيث مات من أهل الشام من لا يحصى عدده، فمنهم من مات حرقا، وبعضهم عجزعن الهرب فمات جوعا، ومنهم من كان ضعيفا فاستمر إلى أن مات، وبلغ الأمر بأهل دمشق قبل رحيل العسكر عنهم أن الواحد كان يدخل إلى البيت وفيه العدد الكثير من الناس فيصنع

---

[432]. زيادة. **مصدر سبق ذكره**. ص95- 97.

[433]. زقلمة. أنور. **المماليك في مصر**. القاهرة . مكتبة مدبولي. ط1. 1995. ص63

[434]. بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**(الترجمة العربية). ج3. ص30.

بهم ما أراد من نهب وقتل واحراق، وافساد وفسق، ولا تمتد إليه يد ولا يخاطبه لسان من شدة الخوف منهم[435].

وتم انقراض شبه كلي للماشية، ففرغت القرى من سكانها بسبب اضطرار أغلب من بقي على قيد الحياة من الرحيل عنها لتعطل أسباب الحياة فيها، وإتجه أغلب السكان النازحين إلى مصر عن طريق البر أو البحر[436]، وتعطلت الزراعة، وبالتالي تعطل النظام الاقطاعي لفقدانه أهم مقوماته.

ونشأ خلل في الموازنة المملوكية في بلاد الشام بعد أن انعدمت جميع النشاطات الإقتصادية بزوال شبه كلي للصناعات على الأخص صناعة الزجاج.

وبانقطاع الطرق التجارية في المناطق المجاورة في العراق وآسيا ضعفت التجارة بل إنعدمت في بلاد الشام وما جرى في البلاد المصرية على اختلاف أنواعها، ونزوح قسم كبير من سكان القرى إلى المدن بسبب تعسف المماليك في جباية الاموال من الفلاحين وبذلك ندرك حجم الفراغ الاقتصادي في جميع المرافق الانتاجية في الدولة المملوكية.

وكان من نتائج حملة تيمورلنك أيضا بطلان البريد من سائر البلاد الشامية، بعد أن كان هو جناح الإسلام الذي لا يستغنى عنه[437].

وبيع القمح بعد رحيل تيمورلنك كل مد بأربعين درهما[438]، وأخذ الناس في ضم الجراد وبيعه وصار هوغالب القوت بالبلد وبيع الرطل منه بأربعة ونصف، وصار من بقي حفاة عراة، وأعيانهم يلبسون أفخم الملابس ويأكلون أفضل الطعام، والناس العاديون يقومون ببيع ما بقي من متاع ليشتروا به الجراد، واستمر الحريق في البلد لعجز من بقي من السكان عن إطفائه حتى عم جميع البلد[439].

---

[435] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**.ج2. ص208- ص209.
[436] ابن اياس.**مصدر سبق ذكره**. ج1. ص335.
[437] القلقشندي. **مصدر سبق ذكره**. ج14. ص415.
[438] ابن حجر. **المصدر السابق**. ص209.
[439] ابن حجر. **المصدر السابق**. ص209.

وقد وصف السيوطي في كتابه" تاريخ الخلفاء" حملة تيمورلنك بأنه - أي تيمور- أخرب البلاد والعباد واستمر يعثو في الأرض بالفساد وقال فيه شعر"[440]

لقد فعلوا فعل التتار ولو رأوا فعال تمر لنك إذ كان أعظمها

وقد أصبحت دمشق، بعد البهجة والسرور، خاوية على عروشها لا يرى فيها إنسان ولا حيوان، سوى جثث محترقة وصور قد تعفرت من الركام، ومسكنا للكلاب ونهبا، مبهمة المعالم[441].

وبقيت الإتصالات مستمرة بعد رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام، وحتى استقراره في عاصمته سمرقند، واستطاع تيمورلنك أن يحقق عن طريق هذه الإتصالات السلمية مالم تحققه له الحرب، وأدت الإتصالات التي حصلت بين الجانبين إلى تبدل في طبيعة العلاقات بين الدولتين، وتحولها من علاقات عدائية إلى صلات ودية، ظهرت في تبادل الهدايا بقصد المجاملات السياسية.

وكان السلطان الظاهر برقوق قد إستنفر تيمورلنك بقتله الرسل، وإصراره على عدم إطلاق سراح أطليمش، ولم يطلق سراحه إلا في عام 806هـ/ 1403م، أما بالنسبة لأحمد جلاير وقرا يوسف الذين فرا من بغداد ولجأوا إلى القاهر، فقد قامت السلطات المملوكية بإيداعهم في سجن القلعة تنفيذاً لمعاهدة الصداقة المعقودة بين تيمورلنك ودولة المماليك.

ونجح تيمورلنك في إبعاد خطر التهديد المملوكي من خلال الأعمال التي قام بها في دمشق والتي أدت إلى اضعاف المماليك وتخويفهم بقوة تيمورلنك عدة وعدداً، فجاء انتقام تيمورلنك من دمشق عاماً، ولم يستثني أحداً.

---

[440] السيوطي.عبد الرحمن أبي بكر.تاريخ الخلفاء.تحقيق:محمد محيي الدين.ج1.مصر:مطبعة السعادة. 1952. ص430.

[441] ابن اياس. المصدر السابق. ص617.

خامساً: أسباب رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام:

لقد عاش المغول حياة بدوية غير مستقرة فهم قبائل تنتقل من مكان لآخر سعياً وراء رزقها فاعتمدوا في الحصول على ما يكفيهم قوت يومهم على السرقة والنهب وقطع الطريق، واستمروا على ذلك حتى عند توحيدهم داخل امبراطورية مغولية تجمع جميع القبائل المغولية.

وبعد اعتلاء تيمورلنك عرش الامبراطوية قام بحملات وغزوات في الشرق والغرب ولم تسلم الدول التي غزاها من البطش والتدمير والسلب فكان يخرج منها وقد انقلبت على أعقابها وكأن زلزالاً قد ضربها.

وقامت سياسته على السلب والنهب والاستغلال للمدن التي يحتلها فلا يترك المدينة التي احتلها الا وقد أخرج له أهلها كل الثروات التي يملكونها، ولتطبيق هذه السياسة امتد نشاطه العسكري من نهر الفولجا في روسيا وحتى دمشق في الشام، ومن أزمير في آسيا الصغرى حتى نهر الجانج في الهند[442]، والعجيب أنه بالرغم مما حققه من انتصارات واحتلال بلاد كثيرة إلا أن حكمه لم يستقر فيها أبداً.

ويعود ذلك إلى سياسة السيطرة والتوسع والحصول على أكبر كم من الغنائم دون الالتفات إلى المنطقة التي سيطر عليها وطريقة حكمه لها ما جعله ينتقل من احتلال بلد إلى بلد آخر دون أن يوطد حكمه فيها.

وقد استطاع في البداية ضم إقليم خوارزم إلى مملكته حين عبر نهر جيحون واخترق الأراضي في خراسان وزحف نحو عاصمته الكرات فأخضع حاكمها غياث الدين[443] أما إقليم خوارزم فكان لا بد من ضمه إلى الإمبراطورية الجديدة لاستقرار الحكم في كل بلاد ما وراء النهر، ولم يبقَ له في هذه الممالك منازع[444].

---

[442]. لامب.مصدر سبق ذكره. ص47

[443]. ابن تغري بردى. مصدر سبق ذكره. ج4. ص111

[444]. ابن تغري بردى. مصدر سبق ذكره. ج4. ص111.

وتوجه تيمورلنك بعدها إلى بلاد العراق وكتب إلى شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي صاحب شيراز يدعوه إلى طاعته وطلب منه أن يأتي إليه ويحمل له المال، ومن جملة كتابه:" إن الله قد سلطني على ظلمة الحكام، وعلى الجائرين من ملوك الأنام، ورفعني على من ناوءني ونصرني على من خالفني ومن عاداني، وقد رأيت وسمعت فإن أجبت وأطعت فبها نعمة، وإلا فأعلم أن في قدومي ثلاثة أشياء القتل والسبي والخراب، وإثم ذلك كله عليك ومنسوب بأجمعه إليك"[445].

وهذا الخطاب استخدمه تيمورلنك في كل بلد قبل غزوها فقد كان يرسل رسائل التهديد والوعيد حتى يسلمها حاكمها فإن رفض يستبيحها بجيشه.

وبعدها غزا تيمورلنك دولة المظفرين حيث رفض حاكمها زين العابدين طلب تيمورلنك بدخول بلاده واعتقل تيمور ذلك الحاكم وحدثت مناوشات بين سكان مدينة أصفهان وجنود تيمورلنك رغم استسلام أهل المدينة له مما أدى إلى قيام تيمورلنك بقتل سبعين ألفا من السكان في عام **789**هـ / **1387**م، وأخذ تيمورلنك كل الحرفيين من تلك المدينة إلى سمرقند[446].

وتوجه تيمورلنك بعد أصفهان إلى شيراز وهرب حاكمها من أمامه إلى ابن عمه حاكم خوزستان وجاء المظفرون إلى تيمورلنك يقدمون له فروض الولاء والطاعة، فرضي منهم ذلك وعاد إلى عاصمته سمرقند محملاً بالأموال والغنائم، ليستعد لمعركة أخرى مع أبناء عمومته - أبناء القبيلة الذهبية - التي امتدت بين **789**هـ _ **793**هـ ، ومن عام **1387**م _ **1391**م[447].

---

[445]. ابن تغري بردى. **المنهل الصافي.** ج4. ص109-ص110.

[446] ابن تغري بردى. المصدر السابق. ج12. ص210.

[447] عبد الحكيم .مصدر سبق ذكره..ص129.

وحصل إحتكاك بين تيمورلنك والمماليك عام 795هـ/ 1393م: عندما أغار تيمورلنك على الرحبة، إثر عودته من العراق، بعد إحتلال بغداد، ولم يتوقف تيمورلنك عند عانة على الفرات، بل تقدم ، ونهبها، ثم انسحب عند سماعه بحركة خان القبجاق في شمال أذربيجان[448] .

وفي عام 796هـ / 1394م، وهو في طريق العودة من العراق أيضاً، وبعد أن غادر تيمورلنك بغداد نحو الشمال، أغار على الرها وسلبها ونهب خيراتها، إلا أنه لم يمكث فيها سوى يومين[449] .

وعلم تيمورلنك بموت فيروز شاه ملك الهند، فاغتنم تيمورلنك هذه الفرصة وسار من سمرقند عام **801هـ/ 1398م**، إلى مولتان وحاصر ملكها سارنك خان في ستة أشهر وغنم هو وجيشه كل ما وجدوه من خيول[450].

وعقب عودة تيمورلنك من الهند، أحيط علماً باضطراب الأوضاع في أذربيجان وبلاد الكرج، فغادر سمرقند عام 802هـ / 1399م، وعبر جيحون إلى خراسان، وأمر حفيده رستم بن عمر شيخ، حاكم شيراز أن يتقدم إلى بغداد للانتقام من حاكمها أحمد الجلائري بسبب إغارته على تبريز، ولمنعه من مد يد العون إلى بلاد الكرج[451].

وبعدها احتل تيمورلنك مدينة دمشق عام 803هـ / 1401، وعاث فيها فساداً وقام بنهب ثروات المدينة بعد قتال عنيف قامت به قوات تيمورلنك، وطلب أعيان مدينة دمشق من تيمورلنك وقف القتال، فاستجاب لطلبهم لقاء شروط فرضها عليهم[452].
وما يدل على أن السبب وراء غزو تيمورلنك للمدن الآمنة في الشرق والغرب هو النهب والسلب، حيث أشار تيمورلنك إلى ذلك "أنني لم أعبر عن حزني العميق لتدمير دمشق

[448]. السخاوي. **الضوء اللامع**. ج2. ص46.
[449]. المقريزي. السلوك. ج3. ق3. ص1040- 1045.
[450]. ابن تغري بردى. **النجوم الزاهرة**. ج12. ص217.
[451]. حطيط، مصدر سبق ذكره. ص45.
[452]. المقريزي. المصدر السابق. ج3. ق3. ص1046.

تلك المدينة العظيمة دون سبب وجيه فقد جئت إليها شاباً فقيراً معدماً ووجدت فيها الثروة الوفيرة"[453]. فلم يكن تيمورلنك يتطلع الى البقاء في هذه الدولة ولكن هدفه كان بالاساس التخويف والسلب والنهب ثم العودة الى بلاده محملا بالاموال والعلماء والصناع والمهرة إلى عاصمة امبراطوريته سمرقند.

وأما السبب الآخر لرحيل تيمورلنك عن مدينة دمشق، أن تيمور لنك أراد اضعاف الدولة المملوكية، حتى لا يحصل تحالف عسكري بين المماليك والعثمانيين، ليتسنى له غزو الدولة العثمانية، وتأديب السلطان العثماني بايزيد الذي كان يحاول ضم بلاد الشام، وكان تيمورلنك قد علم بأن السلطان العثماني بايزيد الأول قد جمع جيشاً كبيراً بهدف الاستيلاء على بلاد الشام[454]، وكذلك القسطنطينية، حيث تمكنت قواته من محاصرة الدولة البزنطية بقوة، في عام 796هـ/ 1393م، حيث أخذ السلطان العثماني بايزيد يفاوض الإمبراطور البيزنطي لتسليم المدينة سلماً، ولكنه أخذ يراوغ ويماطل ويحاول طلب المساعدات الأوروبية لصد الهجوم، وكان قد استنجد بتيمورلنك أيضاً[455].

وحصلت معركة (نيقوبوليس) عام 798هـ/ 1395م، وغزا خلالها السلطان العثماني بايزيد الأول هنغاريا، فأدى ذلك إلى توجيه حملة صليبية ضد العثمانيين، ولكن بايزيد الأول أنزل بالصليبيين هزيمة منكرة في نيقوبوليس[456]. واستنجدت بيزنطة بتيمورلنك، وما كان من تيمورلنك سوى الاستجابة لطلب بيزنطة والتحرك نحوها لوقف المد العثماني[457].

---

[453] دي ميخائيللي. **مصدر سبق ذكره.** ص40.
[454] دي ميخائللي. المصدر السابق.ص42..
[455] بدر، تامر. **أيام لا تنسى – صفحات مهمة من التاريخ الاسلامي**.تقديم: راغب السرجاني. جدة: دار أقلام.2011م. ص23.
[456] بدر. المصدر السابق. ص23.
[457] بدر . المصدر السابق. ص23.

أما السبب الثالث والذي عجل برحيل تيمورلنك عن بلاد الشام وعدم بقائه فيها يعود إلى موقف نواب وأمراء مدينة دمشق الذين أصروا على الدفاع عن مدينتهم حتى خروج القوات التيمورية منها، فقد وقف بعض النواب والأعيان وقاموا بتشجيع الناس على القتال، وفي ذلك ما حذر منه المؤيد شيخ الخاصكي نائب طرابلس مخاطباً الأعيان والنواب لرفع معنوياتهم وقد كان ذا رأي سديد، وحذرهم من الخطر الذي يحيط بهم، ومن قوة تيمورلنك وعدته وعتاده و ما يخطط له، وطالبهم بالتحرك والوقوف صفاً واحداً لملاقاة تيمورلنك، وتحصين المدينة من كل جانب والاجتماع خارجها في جانب واحد، للمراقبة والوقوف بالمرصاد له، وطالبهم بحفر الخنادق، وإرسال الرسل إلى الأعراب، والأكراد، والتراكمة، ليتحدوا جميعا في قتاله[458].

ورفض نائب حاكم حلب تمرداش هذا الرأي وثبط الناس عن القتال وأمرهم بعدم الأخذ برأي شيخ الخاصكي[459]، ولم يستمع الحاضرين إلى رأي تمرداش وأجمعوا وإتفقوا على الخروج إلى تيمورلنك إطاعة لنائب طرابلس شيخ الخاصكي، لأنه كان رجلاً ثقة ويعتمد الحاضرين على رأيه أما نائب حاكم حلب تمرداش فقد كان جاسوسا لتيمورلنك، وقد ذكر المقريزي أن عادته كانت المراوغة[460].

وقد تسلم تمرداش نائب حاكم حلب سرا من مبعوث تيمورلنك رسالة تدعوه إلى الإنحياز إليه وتعده بإبقائه في منصبه في مقابل أن يعتقل سودون[461]، ولكن تمرداش رفض هذا العرض وأطلع سودون على الرسالة ولذلك أمر سودون بقتل موفد تيمورلنك الذي أفاد قبل قتله أن تمرداش هو الذي أطمع تيمورلنك في حلب وحفزه على القدوم إليها من خلال مراسلات جرت بينهما[462].

---

[458] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص46.

[459] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص46 .

[460] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص134.

[461] ابن حجر. **المصدر السابق**. ج2. ص134؛ والمقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032.

[462] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032؛ وابن تغري بردى. **مصدر سبق ذكره**. ج12. ص221.

فالشبهات التي دارت حول إخلاص تمرداش بعد الذي ذكره رسول تيمورلنك أمام الأمراء عن تمرداش قبل قتله للرسول، إنما كان من تنميق تيمورلنك ودهائه ليفرق بذلك بين القوات المملوكية[463].

وقد حصن أهل حلب المدينة وقاموا باغلاق أبوابها وتضييق شوارعها وشكلوا مجموعات لتدافع عنها كل في حارته وفتحوا الأبواب التي يتوقع أن يأتي منها تيمورلنك وقواته، وهي باب النصر، وباب الفرج، وباب القناة[464].

وتم في اجتماعات الأمراء التداول في الاجراءات التي ستتخذ للدفاع عن البلد وأهلها واختلفوا في ذلك، فاقترح بعضهم المكوث على أسوار المدينة حتى يصل جيش السلطان المملوكي الناصر فرج من القاهرة[465]، وبعدها أجمعوا على الخروج للتصدي للقوات المغيرة وحفر الخنادق والطلب إلى العشائر التركمانية والأعراب التصدي لقوات تيمورلنك اعتمادا على جهلها بالبلاد وطبيعة أرضها[466]، ولم يأخذوا بكلامه "لأنه كان بينهم وبينه ثار وهو واقعة أيتمش وتنم"[467].

ثم خرج السلطان الناصر فرج ببقية قواته من غزة في الرابع والعشرين وسار الجميع حتى وصلوا دمشق[468]، وأشار بعض النواب والأمراء والعلماء، بتحصين البلد، وحراسة أسوارها[469]، ومنع تيمورلنك وقواته من الوصول إليها[470]، وأشار نائب حاكم حلب تمرداش لأهل حلب بإخلائها وطلب منهم الرحيل والتوجه حيث أبوا [471]، أما الأمير تمراز أمير الريدانية فقد أخذ في عرض قواته وتجهيزهم بالخيول وطلب المقاتلين من الوجه القبلي والبحري لقتال تيمورلنك، وما نلاحظه أن هناك من النواب والأمراء وكبار الأعيان من قام

---

[463] المقريزي. **السلوك**. ج3. ق3. ص1032.
[464] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. . ص46.
[465] ابن حجر. **مصدر سبق ذكره**. ج2. ص134.
[466] ابن عربشاه. **مصدر سبق ذكره**. ص86.
[467] ابن تغري بردى.**مصدر سبق ذكره**. ص231.
[468] زيادة. **مصدر سبق ذكره**. ص46.
[469] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ج4. ص45.
[470] ابن عربشاه. **المصدر السابق**. ص46.
[471] ابن الشحنة. **مصدر سبق ذكره**. 212.

بمجابهة تيمورلنك على أحسن وجه، وهناك من أدلى بدلوه ضد الدولة والنواب بسبب الأحقاد السياسية التي كان يحملها كل واحد منهم على الآخر.

ويمكن أن يكون الصراع السياسي داخل الامبراطورية المغولية، سبباً آخراً عجل برحيل تيمورلنك عن بلاد الشام، حيث شهدت الامبراطورية المغولية من ثورات داخلية وصراعات سياسية على الحكم، فكان أبناء عمومة تيمور لنك زعماء القبيلة الذهبية ينتهزون فرصة غيابه عن إمبراطوريته ليقوموا بغزوها وسلبها ونهبها[472].

[472]. بدر. مصدر سبق ذكره. ص24.

خاتمة الفصل الثالث:

قام تيمور لنك أثناء حملته على شمال بلاد الشام باستباحتها ونهب كل ما يحلو له ولقواته، وأخذت مدينة حلب النصيب الأكبر من ذلك كونها أكبر المدن الشامية بعد مدينة دمشق، والتي لم تسلم كذلك وطالتها يد التخريب، حيث سقطت بيد تيمورلنك في 9 رجب عام 803هـ / 24 أذار1401م، وبعد حصارها لمدة شهرين متتالين، قرر وجهاء مدينة دمشق وعلمائها تسليم المدينة بالأمان إلى تيمورلنك.

وقد استغل تيمورلنك ما كان يشاع في ضواحي دمشق حول الفظاعات التي ترتكبها قواته، وذلك من أجل إخافة وإرهاب المدن فتستسلم له على الفور، وعند وصول تيمورلنك لمشارف دمشق فرض عليها الحصار، وبدأ يقاتل أهلها وأمرائها بحجة إهانة أميرها سودون لرسله.

إلا أن السلطان المملوكي الناصر فرج ومجموعة من قواته تركوا المدينة فجأة وعادوا إلى القاهرة بحجة حدوث القلاقل فيها، تاركين أهلها لمصيرهم، وهذا ما دفع العلماء والوجهاء في المدينة إلى الإجتماع في المسجد الأموي الكبير وأعلنوا عن الموافقة على مقابلة تيمورلنك، فيما بقي النائب والسكان يقاتلوا من أعلى السور، وردوا قوات تيمورلنك أكثر من مرة عن أسوارها إلى أن تم احتلالها واستباحتها.

الخاتمة:

لقد بلغت الدولة المغولية أوج قوتها بعد أن كانت جماعات وقبائل متفرقة متنازعة يقاتل ويصارع بعضها بعضا، ويعود الفضل في ذلك إلى زعيمها جنكيز خان الذي وضع أساس الامبراطورية المغولية وأراد لها أن تكون متماسكة ومزدهرة وتتمتع برخاء إقتصادي وبنية سياسية قوية، وهذا ما كان لها بالفعل، فنظم الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية وفق قانون وعقيدة عرفت" بالياسا".

وبعد وفاة جنكيزخان، قام تيمورلنك بالإلتفاف على قوانين الإمبراطورية المغولية ومكن لنفسه الجلوس على العرش، فبدأ حكمه بالتوسع والسيطرة على أكبر مساحة ممكنة، ليجعل من نفسه حاكما للعالم بدون مخادع إيمانا منه بأن العالم يجب أن لايحكمه إثنان، وهذه المقولة كان يرددها الإسكندر المقدوني الذي أعجب به تيمورلنك وأراد تقليده في فتوحاته.

وللوصول إلى مبتغاه استخدم تيمورلنك كل أشكال العنف والتدمير والتخريب وخير دليل على ذلك ما قام به في بلاد الشام في العام 803هـ/ 1401م، ولم ينجح تيمورلنك في الإبقاء على احتلال بلاد الشام بعد السيطرة عليها مع أنه استطاع اخضاع الأمراء والقضاة وحتى السكان الذين تم اقناعهم بأن نواياه حسنة وأنه لا يريد الاحتلال والدمار للمدينة التي أصبحت منكوبة.

ويعود السبب في رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام إلى نفاذ المونة الغذائية التي كانت لدى القوات المغولية وخيولها.

والأيديولوجية التي يحملها تيمورلنك والتي تقوم على الإحتلال من أجل السلب والنهب والحصول على أكبر قدر من الثروة ومن ثم الخروج من الدولة المستباحة والتحضير للصدام مع دولة أخرى ويفعل فيها ما كان قد فعل في الدولة الأولى، حيث قام بتطبيق ذلك في بلاد الشام فاستولى على أكبر قدر من ثروات المدن الشامية، بعد تدميرها وقتل معظم سكانها، و قام بتسيير قافلة الصناع والمهرة والأطباء الشاميين إلى مدينته سمرقند مع سماحه لزوجاتهم بالقدوم معهم.

وكانت سياسة تيمورلنك تقوم على الدهاء والمكر، وإذا تم كشف نواياه الخبيثة ولم يستجب له أهل المدينة نكل بهم أشد تنكيل وعذبهم أشد تعذيب.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج وهي: تمكُن تيمورلنك من الاستيلاء على السلطة في إقليم ما وراء النهر ثم نجاحه في القضاء على الدويلات المستقلة في غربي آسيا التي نشأت على أنقاض دولة مغول فارس، ومن ثم شروعه في تأسيس إمبراطورية مغولية كبيرة سارت على نفس سياسة الإمبراطورية المغولية التي أسسها جنكيزخان من قبل، وهي السياسة العنصرية القائمة على التوسع وإخضاع الدول وإرهاب الشعوب.

وبينت السبب وراء توتر العلاقات بين تيمورلنك والسلطان الظاهربرقوق والتي كان من أهمها تغاضي وإهمال السلطان الظاهر برقوق في الرد على الرسائل التي كان يرسلها تيمورلنك والتي نصت في أغلبها على المطالبة بتسليم أطليميش رسول تيمورلنك والمعتقل لدى السلطات المملوكية، بل وقتل الرسل في معظم الأحيان، واستفز هذا الأمر تيمورلنك، وجعله يعجل بالصراع مع المماليك.وكان هروب السلطان أحمد بن أويس إلى مصر ورفض السلطان الظاهر برقوق تسليمه إلى تيمورلنك سببا من الأسباب التي جعلت تيمورلنك يأتي إلى بلاد الشام للإنتقام من المماليك.

كما وكشفت الدراسة عن السبب وراء عداء تيمورلنك لسلطنة المماليك وهو رغبة تيمورلنك في اخضاعها لنفوذه بل وضمها إلى إمبراطوريته، ويتضح ذلك من طلبه من المماليك بإقامة الخطبة باسمه، ونقش اسمه على السكة .

ويتضح كذلك في أثناء سير حملة تيمورلنك على بلاد الشام، أنه – أي تيمورلنك- كان قادرا على الإمساك بزمام المبادرة من الناحية السياسية ومن الناحية العسكرية، طوال فترة سير الحملة، ولم تكن أعمال السلطات المملوكية والنواب والأمراء والعلماء، إلا ردود أفعال تتصف إلى حد كبير بطابع الإرتجال والعشوائية، ويظهر ذلك في طمأنة السلطات

المملوكية في حلب إلى الأمان الذي منحه تيمورلنك للمدينة، ثم استمراره بالتنكيل بالسكان، وفرضه لمكان المعركة الحاسمة مع القوات المملوكية في ضواحي دمشق.

وعودة السلطان الناصر فرج إلى القاهرة بالخفية ودون أن يُعلِم أحدا، ومخادعة تيمورلنك وقواته لسكان دمشق في كمية الأموال التي فرضت عليهم، وانتهاء بنهب المدينة وإحراقها وقتل أغلب سكانها.

وقد تبين لنا وبات واضحا أن برقوق لم يكن قادرا على إدارة الصراع السياسي والعسكري مع تيمورلنك، وأن بلاده كانت تعاني عجزا ماليا فقد استطاع تسويته وتأمين نفقات الجيش من خلال عدة اجراءات قام بإتخاذها، أما في الجانب السياسي فقد تمثل في محاولة السلطان الظاهر برقوق في إقامة علاقات وثيقة مع كل من السلطان العثماني بايزيد وطقتمش خان القفجاق، ولو تم لهذا التحالف الثلاثي أن ينجح لما تجرأ تيمورلنك من عبور الفرات ومهاجمة بلاد الشام عام 796هـ/ 1394م، رغم هزيمة مقدمة جيشه على يد المماليك.

وأراد تيمورلنك من حملته على بلاد الشام إضعاف الدولة المملوكية ليتسنى له مهاجمة وتأديب السلطان بايزيد العثماني لإحتلاله مدينة ملطية، وكانت حجة بايزيد في السيطرة عليها حدوث اضطرابات وفتن فيها وأن المماليك غير قادرين على السيطرة عليها، وبالتالي تم إخضاعها وضمها للحكم العثماني.

وتذرع تيمورلنك أن قيامه بحملته على بلاد الشام تعود إلى أن حكام تلك البلاد غير قادرين على حكمها وتطبيق الإسلام فيها.

وعلى الرغم من الحاح تيمورلنك مرارا وتكرارا قبل إغارته على بلاد الشام على ضرورة إطلاق سراح أسيره في القاهرة أطليمش، ثم رحيله عن البلاد دون أن يحقق هذا الهدف، ودون أن يقيم فيها سلطة رسمية لتحكمها بإسمه، مما يجعل من حملته، ليست إلا حملة

تهدف إلى السلب والنهب والتدمير، وكانت ذريعته فيما ارتكبه من أعمال قتل وسلب وهتك الأعراض في بلاد الشام، أن أجداد سكان تلك البلاد قد أيدوا بني أمية(معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد) ضد علي بن أبي طالب وأولاده.

المصادر العربية والمعربة:

-ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي أبي الكرم الشيباني (ت630/ 1232م). **الكامل في التاريخ**. ط1. حققه وضبط حواشيه: علي شيرى. بيروت: دار إحياء التراث. 1989م.

- ابن الزبير، القاضي الرشيد بن الزبير. **الذخائر والتحف**. تحقيق: محمد حميد الله. راجعه: صلاح الدين المنجد. ط2. الكويت: التراث العربي. 1984م.

- ابن العبري. أغريغوريوس الملطى(ت658هـ/ 1286م). **تاريخ مختصر الدول**. بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. 1890م.

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات. **تاريخ ابن الفرات**. حققه وضبط نصه: قسطنطين زريق. المجلد السابع. بيروت. (د. ت).

- ابن اياس، محمد بن أحمد بن اياس الحنفي (ت930هـ/ 1524م). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. حققه وكتب له المقدمة: محمد مصطفى. ج1. ق1. ط2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1982.

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي(ت779هـ/1377م). **مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة(تحفةالنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**. ضبطه: أحمد العوامري ومحمد المولى بك. ج1. القاهرة: المطبعة الأميرية. 1933.

- ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت874هـ/ 1470م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ط1. بيروت: دار المكتبة العلمية. 1992م.

- ابن تغري بردى. **حوادث الدهور في مدى الايام والشهور.** تحقيق: محمد كمال الدين . ج1. ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1990م.

- ابن تغري بردى، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.** تحقيق: فهيم شلتوت. ج2. السعودية: جامعة أم القرى. (د.ت). ج1. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1998م.

- ابن حجر، الإمام شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني(ت 852هـ/ 1449م). **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ.** ط2. ج1، ج2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1986.

- ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت 380هـ/ 991م). **كتاب صورة الأرض.** بيروت: دار الحياة. 1992م.

- ابن خرداذبه، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/ 913م). **المسالك والممالك.** ليدن: مطبعة بريل. 1889م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي(ت 808هـ/ 1406م). **المقدمة المسماة بمقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.** تعليق: تركي فرحان. ج1، ج5. ط1. بيروت: دار إحياء التراث. 1999م.

- ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا.** تعليق: محمد بن تاويت الطنجي. قدم له: عبادة كحيلة. القاهرة: سلسلة الذخائر. 2003م.

- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن علي(ت 926هـ/ 1520م). **صدق الأخبار(تاريخ ابن سباط).** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط1. ج1،ج2. لبنان: جروس برس. 1993م.

- ابن الشحنة، الشيخ محب الدين أبي الوليد محمد بن الشحنة. **روض المناظر في علم الأوائل والآواخر**. ط1. تحقيق: سيد محمد مهنا. بيروت: دار الكتب العلمية. 1997م.

- ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت 684هـ/ 1285م). **تاريخ الملك الظاهر**. باعتناء: أحمد حطيط. جمعية المستشرقين الألمانية. فرانزشتايز. 1983م.

- ابن صصرى، محمد بن خيري الذهبي **الدرة المضية في الدولة الظاهرية**. دمشق: الهيئة السورية العامة للكتاب. 2008م.

- ابن طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى(ت 934هـ/ 1528م). **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية**. بيروت: دار صادر. (د.ت).

- ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون(953هـ/ 1546م). **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام**. تحقيق: محمد مصطفى. القسم الثاني. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف. 1964م.

- ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون . **إعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**. تحقيق: محمد دهمان. ط2. دمشق: دار الفكر. 1984م.

- ابن عربشاه، شهاب الدين أحمد بن عبد الله الدمشقي(854هـ/ 1450م). **عجائب المقدور في أخبار تيمور**. ط1. القاهرة: مطبعة وادي النيل. 1285م.

- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد(ت 580هـ/ 1185م). **الأنباء في تاريخ الخلفاء**. تحقيق: قاسم السامرائي. ط1. القاهرة: دار الآفاق العربية. 1999م.

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الاسدي. (ت 851هـ/ 1448م). تاريخ ابن قاضي شهبة. تحقيق: عدنان درويش. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية. 1994م.

- إبن منظور. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين(ت 711هـ/1311م). **لسان العرب**. ج11. القاهرة: دار الصحابة. (د.ت).

- ابن النديم. **الفهرست**، اعتنى به وعلق عليه: ابراهيم رمضان. ط1. بيروت: دار المعرفة الجامعية. 1994م.

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مضفر(ت 749هـ/ 1349م). **تتمة المختصر في أخبار البشر تاريخ ابن الوردي**. ط1. ج2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1996م.

- إبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت 697هـ - 1297م). **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**.ج4. تحقيق: حسين محمد ربيع. (د.ت).

- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن شهاب الدين المقدسي(ت 665هـ/ 1267م). **الروضتين في أخبارالدولتين النورية والصلاحية**. ج2. القاهرة: 1012م.

أبو الفيض، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت 1205-/ 1791م). **تاج العروس**. ج2. الكويت. 2008م.

- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي محمود(ت 732هـ/ 1331م). **المختصر في أخبار البشر**. ط1. القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية. 1995م.

- أبو الفدا، **التبر المسبوك في تواريخ الملوك**. تقديم وتحقيق: محمد عزب. ط1. القاهرة: مكتبة الثافة الدينية. 1995م.

- أبـي البقـاء، عبدالله البدري. **نزهـة الأنـام فـي محاسن الشـام** (ت680هـ/ 1290م). ط1. بيروت: دار الرائد العربي.1980م.

- التونسـي، السـيد خيـر الـدين التونسـي. **أقـوم المسـالك فـي معرفـة أحـوال الممالـك**(ت 1307هـ/ 1890م). ط1. تونس: مطبعة الدولة. 1284هـ.

-الجويني، علاء الدين. **تاريخ فاتح العالم.** ج1. القاهرة: المركز القومي للترجمة. 2007م.

- الجويني، علاء الدين عطـا ملك بن بهـاء الدين(ت681هـ/ 1283م). **تـاريخ فـاتح العـالم جهانكشاي.** ترجمة: السباعي محمد. نشر وتصحيح: العلامة محمد القزويني. ليدن: مطبعة بريل. 1937م.

- الحريري، أحمد بن علي الحريري (ت 516هـ/ 1112م). **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علىديار المسلمين**. تحقيق: سهيل زكار. دار الملاح. 1981م.

- الحنبلي، الحافظ بن رجب محمد(ت 795هـ/ 1393م). **كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة**. تحقيق يسرى عبد الغني. القاهرة: مكتبة القرآن. (د.ت.).

- الحنبلي الحلبي(ت 791هـ/ 1389م). **الزبـد والضـرب فـي تـاريخ حلـب**. تحقيـق: محمـد التنونجي. ط1. الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث. 1988م.

- الحنبلي بن العماد، أبي الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/ 1679). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ج5-ج6. بيروت: الدار البنانية. 1979م.

- الدلجي، الإمام شهاب الملة والدين أحمد بن علي(ت 1210هـ/ 1796م). **الفلاكة والمفلوكون**. تقديم: زينب محمود الخضيري. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة. 2003م.

- الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد. **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**. القاهرة: مطبعة المؤيد. 1318هـ.

- الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك(ت 736هـ/ 1336م). **كنز الدرر وجامع الغرر(الدررالزكية في أخبار الدولة التركية)**. مج8. تحقيق: هارمان. القاهرة: قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار. 1971م.

- الذهبي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت 748هـ/ 1348م). **العبر في خبر من غبر**. تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد. ج3. بيروت: دار الكتب العلمية.(د.ت).

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت902هـ/ 1497م). **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**. تحقيق: بشار عواد وعصام فارس. ج1. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1995م.

- السخاوي. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. ج2. القاهرة: مكتبة الخانجي.(د.ت).

- السويدي، الشيخ أبي الفوز محمد أمين البغدادي. **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**. بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).

- السيوطي، جلال الدين أبو بكر ناصر همام الخضيري (ت911هـ/ 1505م). **الوسائل في معرفة الأوائل**. تحقيق: إبراهيم العدوي وعلي عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1980م.

- السيوطي، جلال الدين أبو بكر ناصر همام الخضيري. **تاريخ الخلفاء**. بيروت: دار ابن حزم. 2003م.

- الشيزرى، عبد الرحمن بن نصر جلال الدين الشافعي. **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**. قام على نشره: السيد الباز العريني. إشراف: محمد مصطفى. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة. 1946م.

- الصالحي، محمد بن عيسى بن كنان الدمشقي. **المواكب الإسلامية في الممالك و المحاسن الشامية**. تحقيق: حكمت إسماعيل. دمشق: إحياء التراث. 1993م.

- الصيرفي، رزق الله منقريوس الصرفي. **تاريخ دول الإسلام**. ج2. القاهرة: مطبعة الهلال. 1907م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت 764هـ/ 1363م). **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب**. القسم الثاني. تحقيق: إحسان خلوصي وزهير حمدان. دمشق: وزارة الثقافة. 1992م.

- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن يوسف(ت855هـ/ 1451م). **عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان**. تحقيق: محمد أمين. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب. 1987م.

- العيني، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**. تحقيق: فهيم شلتوت. راجعه: محمد مصطفى. سلسلة الذخائر. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة. 2003م.

- الغزي الحلبي، كامل البالي الحلبي(ت 1351هـ/ 1933م). **نهر الذهب في تاريخ حلب**. ج3. قدم له وصححه وعلق عليه: شوقي شعث وحمود الفاخوري. سوريا: دار القلم العربي. 1993م.

-ابن عبد الظاهر، محيي الدين. (ت692هـ/ 1292م). **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**. تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر. الرياض. 1396هـ.

- القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي(ت 912هـ/ 1507م). **أخبار الدول وآثار الأول**. بغداد: دار السداد. 1282هـ.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت 682هـ/ 1284م). **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: دار صادر. (د.ت).

- القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد(821هـ/ 1418م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1928م.

- القلقشندي، **مآثر الإناقة في معالم الخلافة**. ج2. تحقيق: أحمد فراج. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1980م.

- الكتبي، الصلاح محمد بن شاكر أحمد(ت 764هـ/ 1363م). **فوات الوفيات**. حققه ووضع حواشيه: محمد محي الدين. ج1. القاهرة: النهضة المصرية. 1951م.

- المدائني، العلامة ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد(656هـ/ 1258م) . **حملات الغزو المغولي للشرق**. باريس: دار لارماثون. 1995م.

- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق: قاسم الرفاعي. مج1-2. ط1. بيروت: دار القلم. 1989م.

- المقدسي البلخي، أبي زيد أحمد بن سهل المقدسي(ت 355هـ/ 966م). **البدء والتاريخ**. مج2. ج6. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. (د. ت).

-المقدسي، شمس الدين أحمد المعروف بالبشارى(ت 380هـ/ 991م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط3. القاهرة: مكتبة مدبولي. 1991م.

- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي(ت845هـ/ 1441م). **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثارالمعروف بالخطط المقريزية.** ج1و2. القاهرة: مكتبة الثقافة الديني. (د.ت).

- المقريزي. **السلوك لمعرفة دول الملوك**. قام بنشره: مصطفى زيادة. ج1و 2و3. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1936م.

-النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 927/ 1521م). **الدارس في تاريخ المدارس**. القاهرة: دار الكتب العلمية. مج2. ط1. 1990م.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت 733هـ/ 1333م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ج27و30. تحقيق: سعيد عبد الفتاح. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1985م.

- اليافعي اليمني، الإمام أبي محمد بن عبد الله بن سعد(ت 786هـ/ 1367م). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. تحقيق: خليل المنصور. ج4. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1997م.

- بيبرس المنصوري، الأمير ركن الدين بيبرس الناصري(ت 725هـ/ 1325م). **التحفة المملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من 648هـ إلى 711هـ).** قدم له: عبد الحميد حمدان. ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. 1987م.

- بيبرس المنصوري. الأمير ركن الدين بيبرس الناصري.**مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك حتى سنة 702هـ.** حققه وقدم له: عبد الحميد صالح حمدان. ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. 1993م.

- توديبود، بطرس. **تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس.** نقله عن اللاتينية إلى الإنجليزية: جون هيل. ترجمه إلى العربية: د. حسين عطية. ط1. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1998م.

- تيودور، بيشوف الجرماني. **تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء.** ترجمة: شوقي شعث و فالح بكور. ط2. دمشق. 1992م.

- جوانفيل، **القديس لويس حياته وحملاته على مصر و الشام (مذكرات جوانفيل).** ترجمة: حسن حبشي. ط1. مصر: دار المعارف. 1968م.

-الهمذاني. رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق (1318هـ/ 1901م). **جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن).** نقله من الفارسية إلى العربية: عبد المعطي الصياد. راجعه: يحيى الحشاب. مج1. ط1. بيروت: دار النهضة العربية. 1983م.

- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله الانصاري(ت 727هـ/ 1327م). **نخبة الدهر.** ط1. السلسلة الجغرافية. رقم7. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1988م.

- ماركو بولو. **رحلات ماركو بولو**. ترجمة: عبد العزيز توفيق. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1977م.

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة(ابراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر ومحمد النجار). **المعجم الوسيط**. ج2. القاهرة: دار الدعوة. 2010م .
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله. **معجم البلدان**. تحقيق: فريد الجندي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1990م.

المراجع العربية:

- أحمد مختار العبادي ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، د. سعد زغلول عبد الحميد. **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**. الطبعة الثانية. الكويت: منشوراتذات السلاسل. 1406 هـ / 1986م .

-أسد الله، صفا. **جنكيزخان (الوحشي النابغة)**. ج1. ط1.. بيروت: دار النفائس. 1988م.

- إقبال، عباس. **تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية**. ترجمة: عبد الوهاب علوب. مراجعة: حسن النابودة. الإمارات: المجمع الثقافي. 2000م.

- أمين ، محمد فتحي. **الغزو المغولي لديار الإسلام**. بيروت: لبنان. 1988م.

- الياد، ميرسا. **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، ج3. ترجمة: عبد الهادي عباس. دمشق: دار دمشق. 1986.

- الجابري، علي حسن. **الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمةوحضارة اليونان**. بغداد: دار آفاق عربية. 1985.

-الجنابي، هاشم خير. **جغرافية أوراسيا**. الطبعة الأولى بغداد: جامعة الموصل. 1987م.

- الخالدي، إسماعيل عبد العزيز. **العالم الإسلامي والغزو المغولي**. ط1. الكويت: مكتبة الفلاح. 1984م.

- الزركلي، خير الدين . الأعلام. ج3. ط5. بيروت: دار العلم للملايين. 1980م.

- السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد سالم. **دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 2000م.

- السيد، محمود. **التتار والمغول**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 2001م

- الشيخ، محمد مرسي. **أوروبا والتتار**. القاهرة: إبداع دار الكتب المصرية. 2000م.

- الشيال، جمال الدين. **تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند**. الاسكندرية: منشأة المعارف. 1986م.

- الصاوي، محمد الصاوي. **جنكيزخان فاتح العالم**. القاهرة: مكتبة النافذة. 2012م.

- الصلابي، علي محمد. **دولة المغول بين الإنتشار والإنكسار**. ط1. بيروت: دار المعرفة.2009م.

- الصياد، فؤاد عبد المعطي. **مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني**. ط1. القاهرة: دار الكاتب العربي. 1967م.

- الصياد. **المغول في التاريخ**. بيروت: دار النهضة. 1980م.

-الطراونة، مبارك محمد. **الحياة الإجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة784هـ 292هـ/ 1382- 1516م**. عمان: دار جليس الزمان.

- العبادي، أحمد مختار. **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1988م.

-العبادي. **في التاريخ الأيوبي والمملوكي** . الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 1992م

- العدوي، إبراهيم أحمد. العرب والتتار. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. عدد 88 . القاهرة: المكتبة الثقافية. 1963 م.

-العريني، السيد الباز. **المغول**. بيروت: دار النهضة العربية. 1986م.

- الغامدي، سعد بن محمد. **المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الإجتماعية والدينية**. الرياض: السعودية. 1990م.

- الغامدي. **المجتمع المغولي(ضوابطه وقوانينه وأقوال جنكيزخان وحكمه والياساوالبيلبيك)**. ط1. القاهرة. 1965م.

- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف. **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي**. القاهرة: دار الفكر العربي. 1999م.

- بارتولد، فاسيلى فلادميروقتش. **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**. ترجمة: صلاح الدين عثمان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1974م.

. بارند، جفري. **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**. ط2. ترجمة: أمام عبد الفتاح. القاهرة: مكتبة مدبولي. 1996م.

- بدر، تامر. أيام لا تنسى – صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي, تقديم: راغب السرجاني. جدة: دار أقلام. 2011م.

- بدر، مصطفى طه. **محنةالإسلام الكبرى و زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول**. ط2. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. 1999م.
- يان. **جنكيزخان سفاح المغول**. ترجمة: صوفي عبد الله. القاهرة: دار الهلال. 1984م.

-حطيط، أحمد. **حروب المغول " دراسة في الإستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك "**. ط1. بيروت: دار الفكر اللبناني. 1994م.

- حمادة، محمد ماهر. **الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي**. الطبعة الثالثة. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1986م.- زيادة، محمود محمد. **مجتمعات إسلامية**. ج2. ط1. القاهرة: دار الطباعة المحمدية. 1963م.

- حمدي، حافظ أحمد. **الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي**. ط1. القاهرة: دار الفكر العربي. 2000م.
- حمدي. **الدولة الخوارزمية والمغول(غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والإقتصادية والثقافية)**. القاهرة: دار الفكر العربي. 1994م.

- خطاب، محمود شتيت. **بلاد ما وراء النهر**. بيروت: دار قتيبة. 1990م.

- زيادة، نقولا. **أطلس العالم**. بيروت: مكتبة لبنان. 1996م.

زيادة، محمود محمد. **مجتمعات إسلامية**. ج2. الطبعة الأولى. بيروت. دار الجبل. 1992م.

- زيدان، جورجي. **طبقات الامم أو السلائل البشرية**. مصر: مطبعة الهلال. 1912م.

- ستوف، فلاديمير. **حياة جنكيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية**. الطبعة الأولى. ترجمة: سعد الغامدي. السعودية: الرياض. 1967م.

- سرور، محمد جمال الدين. **دولة الظاهر بيبرس بمصر**. القاهرة: دار الفكر العربي. (د.ت).

- سليمان، أحمد السعيد. **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة**. مصر. دار المعارف. 1389م.

-سليمان، أحمد عبد الكريم .**المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (648-676هـ/ 1250-1277م)** . ط1. القاهرة: دار النهضة المصرية. 1405هـ - 1984م .

- سليمان. **المغول والمماليك في عهد دولة بني قلاوون (678 -784هـ/ 1279- 1382م)**، ط1، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، 1405هـ - 1948 م .

- سيرتوماس. أرنولد. **الدعوة إلى الإسلام**. ترجمة: حسن إبراهيم. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.1970م .

- شبولر، برتولد. **العالم الإسلامي في العصر المغولي**. ط1. ترجمة: خالد عيسى. راجعه: سهيل زكار. دمشق: دار حسان للطباعة والنشر. 1983م.

- شلبي، محمود. **حياة الملك الظاهر بيبرس**. ط1. بيروت: دار الجبل. 1992م.

- صفا، محمد أسد الله. **جنكيزخان**. ط1. بيروت: دار النفائس. 1998م.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح. **العصر المماليكي في مصر والشام**. القاهرة: دار النهضة العربية. 1965م.

- عاشور، سعيدعبد الفتاح. **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام**. القاهرة: دار النهضة العربية. 1996م.

- عاشور، فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**. القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة. 1989م.

- عاشور، فايد حماد محمد. **الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي**. الطبعة الأولى. لبنان. جروس برس. 1995م.

- عباس، إحسان. **مصر وبلاد الشام في عهد المماليك**. بيروت: دار صادر. 1993م.

- عبد الحكيم، منصور. **تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد. القاهرة:** دار الكتاب العربي. 1998م.

- عبد الحليم، رجب محمد. **انتشار الإسلام بين المغول**. القاهرة: دار النهضة. (د.ت).

- عبد المنعم، صبحي. **المغول والمماليك السياسة والصراع**. الطبعة الأولى. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع. 2000م.

- عطا، زبيدة. **بلاد الترك في العصور الوسطى**. القاهرة: دار الفكر العربي. (د.ت).

- علي، محمد كرد. **خطط الشام**. أربعة أجزاء. الطبعة الثالثة. دمشق: مكتبة النوري. 1983م.

- عمران، محمود سعيد. **المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 2003م.

- فيشل. والتر. **لقاء ابن خلدون لتيمورلنك**. ترجمة: محمد توفيق. قدم له وعلق عليه: مصطفى جواد. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1951م.

- قاسم، عبده قاسم. **عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والإجتماعي**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار عين للدراسات الإنسانية. 1998م.

- كريم الله، أبرار. **من هم التتار؟**. ترجمة وتعليق د. رشيدة رحيم الصبروني. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. سلسة الألف كتاب الثانية. 1994م .

- كريمونا، هنري. **موسوعة الأديان الميسرة**. ط3. بيروت: دار النفائس.2005م.

- لامب، هارولد. **جنكيز خان وجحافل المغول**. ترجمة: متري أمين. مراجعة: زكي محمود. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية. 1962م.

- لامب، هارولد. **تيمورلنك**. ترجمة: متري أمين. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية. 1987م.

-لاين، جورج. **عصر المغول**. ترجمة: تغريد غضبان. أبوظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة. 2012م.

- مرجونة، إبراهيم علي، والعبادي، أحمد مختار، **رحلة المغول من الإستكبار إلى الإنصهار**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 2010.

- مصطفى، شاكر. **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**. ط1. بيروت: دار العلم للملايين. 1993م.

- نوار، صلاح الدين. **المرأة ودورها في المجتمع المغولي (طبقا لمصادر المغول وقوانين الياسا)**. ط1. الإسكندرية: منشأة المعارف. 1999م.

- نوار. **الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والإجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية(658 - 783هـ - 1260- 1381م)**. الإسكندرية: منشأة المعارف.(د.ت).

-هلال، عادل إسماعيل. **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**. الطبعة الأولى. القاهرة: عين للدراسات الإنسانية والإجتماعية. 1997م.

-هوتسما وأرنولد ووباسيت وهارتمان.**التتار**. تحقيق:ابراهيم خورشيدوعبدالحميد وحسن حبشي.مج4. الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري. 1998م.

- واترسون، جيمس. **فرسان الإ سلام وحروب المماليك**. ترجمة:يعقوب - عبد الله .القاهرة: المركز القومي. 2011م.

المراجع الأجنبية:

- Bojegei. Kate: **The Mongols.** London. 1998.
- Howorth. Henry**: History of the Mongols**. London. 1927.

-Thomas wright. **Earlytravel, the travels of B.de In Brocauiero** AD-1432-1433.